
المكتبة القبطية على الانترنت
http://copticlibrary.110mb.com

البابا شنوده الثالث

الخدمة الروحية و الخادم الروحي

"الجزء الثاني"



البابا شنوده الثالث

الخدمة الروحية و الخادم الروحي

"الجزء الثاني"

The Spiritual Ministry & The Spiritual Minister

Vol. II

By H. H. Pope Shenouda III

1st. print | الطبعة الأولى
May 1994 | مايو ١٩٩٤
Cairo | القاهرة

الكتاب : الخدمة الروحية والخادم الروحى ج ٢ .

المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث .

الطبعة : الأولى - مايو ١٩٩٤م .

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست العباسية - القاهرة .



حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

نقدم لأبنائنا الخدام والخادمات الجزء الثانى من مجموعة (الخدمة الروحية والخادم الروحى) للتعريف بطبيعة عملهم فى الخدمة، وما ينبغى أن تكون عليه حياتهم فى قوتها وتأثيرها .

ولقد حدثناكم فى الجزء الأول من هذه المجموعة عن :

١ – ما هى الخدمة روحياً . وقد شمل هذا الموضوع ١٦ نقطة.

٢ – مركز الله فى الخدمة . وقد اشتمل على ٧ نقاط .

٣ – التواضع فى الخدمة .

٤ – مقاييس الخدمة ونجاحها .

٥ : ٨ – الخادم الروحى . وقد اشتمل هذا البند على أربعة موضوعات .

٩ – العمل الجوانى .

وفى هذا الجزء الثانى من المجموعة نحدثك عن :

١ – الخدمة : أهميتها – مجالتها – فاعليتها .

٢ – قوة الخدمة .

٣ – النمو فى الخدمة .

٤ – التعب فى الخدمة .

٥ – " مسحنى لأبشر المساكين .. " .

٦ – الذين ليس لهم أحد يذكرهم .

٧ – " يهيئ للرب شعباً مستعداً " .

٩ – الخادم داخل الأسرة .

وانتظر الجزء الثالث حيث نحدثك فيه عن :

١ – العمل الإيجابى .

٢ – العمل الفردى .

٣ – التشجيع .

٤ – لاحظ نفسك والتعليم .

٥ – كثيرون سقطوا داخل الخدمة ، وبعضهم هلكوا .

٦ – الجدية فى الخدمة .

٧ – الخادم فى المجتمع .

٨ – موضوعات أخرى .

وبعد ذلك الجزء الرابع بمشيئة الله .

مايو ١٩٩٤ البابا شنوده الثالث



الباب الأول



الخدمة

- أهميتها
- مجالاتها
- فاعليتها

الخدمة

أهميتها – مجالاتها – فاعليتها

أهمية الخدمة :

تحدث القديس بولس الرسول عن المواهب المتنوعة " كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان " " بحسب النعمة المعطاة لنا "، فقال " أنبوة فبالنسبة إلى الإيمان. أم خدمة ففى الخدمة . أم المعلم ففى التعليم. أم الواعظ ففى الوعظ. المعطى فبسخاء المدبر فباجتهاد" (رو١٢: ٣ – ٨) .

وهكذا جعل الخدمة فى مقدمة هذه المواهب المتنوعة، لكى يرينا بهذا أهميتها ...

ربنا يسوع المسيح نفسه ، قال عن ذاته " إن إبن الإنسان لم يأت ليُخدَم ، بل ليخدم ، ويبذل نفسه فدية عن كثيرين " (مر١٠: ٤٥) . فإن كان السيد المسيح قد جاء ليخدم ، فماذا نقول نحن ،

وأية كرامة تكون للخدمة إذن؟ إن كان السيد المسيح أخذ شكل العبد ليخدم البشرية، فماذا يفعل البشر ؟

وكما جاء المسيح ليخدم ، هكذا رسله أيضاً كانوا خداماً ...

سواء من جهة الخدمة الروحية ، أو الخدمة الإجتماعية ...

من الناحية الروحية، قالوا عن أنفسهم لما أقاموا الشمامسة السبعة. "**وأما نحن فنعكف على الصلاة وخدمة الكلمة** " (أع٦: ٤).

ويقول القديس بولس الرسول عن هذه الخدمة الروحية ".. واعطانا خدمة المصالحة ... نسعى كسفراء عن المسيح ، كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح، تصالحوا مع الله " (٢كو٥: ١٨، ٢٠). ويقول لتلميذه تيموثاوس " أعمل عمل المبشر ، تمم خدمتك" (٢تى٤: ٥). وفى هذه الخدمة ، قال عن القديس مرقس إنه " نافع لى للخدمة " (٢ت٤: ١١) .

أما من جهة الخدمة الأخرى ، فيقول القديس بولس أيضاً :

" **إن حاجاتى وحاجات الذين معى، خدمتها هاتان اليدان** " (أع٢٠: ٣٤).

ويمدح العبرانيين فيقول "لأن الله ليس بظالم، حتى ينسى عملكم وتعب المحبة.. إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم " (عب٦: ١٠) .

إن الآباء لم تكن لهم روح السيطرة ، بل روح الخدمة .

كانوا يخدمون الناس ، ويبذلون أنفسهم عنهم . وفى الكهنوت .

كان كل من يرسم على كنيسة ، يعتبر نفسه خادماً لهذه الكنيسة. يخدم السرائر المقدسة ، ويخدم الله ، والشعب ...

إن القديس أوغسطينوس أسقف هبو، لما صلى لأجل شعبه ، قال " أطلب إليك يارب ، من أجل سادتى، عبيدك " . فاعتبر أن أفراد هذا الشعب ، الذى يخدمه كأسقف ، هم سادته .

ولم تكن كلمة (خادم) مجرد لقب ، وإنما حقيقة واقعة .

وكان الآباء يتعبون فى هذه الخدمة ، إلى آخر نسمة ...

" فى أسفار مراراً كثيرة.. فى جوع وعطش .. فى برد وعرى، فى تعب وكد .. فى أسهار ، فى أصوام" (٢كو١١: ٢٦، ٢٧) يسهرون لأجل النفوس، كأنهم سوف يعطون حساباً " (عب١٣: ١٧). كانوا مثل الشموع ، التى تذوب ، لكى تعطى نوراً للآخرين.

وما أجمل قول الشيخ الروحانى فى الخدمة " فى كل موضع مضيت إليه، كن صغير أخوتك وخديمهم " ...

إن نزعة العظمة ، ليست دليلاً على القوة ، بل هى حرب .

أما القوى ، فهو الذى يدرب نفسه ، على أن يكون خادماً .

القديس الأنبا صرابامون أبو طرحة، كان وهو أسقف ، يحمل الطعام إلى بيوت الفقراء، فى الليل فى الخفاء، ويقرع أبوابهم،

ويترك ما يحمله أمام الباب ويمضي، وهو سعيد بخدمته .

والأنبا موسى الأسود ، كان يحمل الماء إلى قلالي الرهبان .

والقديس بينوفيوس ، كان يدرب ذاته على أن يقوم في الدير بالخدمات الحقيرة التي لا يقبل عليها الكثيرون، مثل تنظيف دورات المياه وكنس الدير، وحمل القانورات خارجاً ، وسائر عمليات التنظيف ...

والآباء كانوا يقومون بهذه الخدمات في فرح ، بلا تذمر ...

بل كانوا يتطوعون لهذه الخدمة ، دون أن يطلبها منهم أحد ..

وكانوا يقومون بها بكل تواضع قلب ، سعداء بخدمة أخوتهم .

قديس يرى رجلاً مجذوماً ، فيحمله إلى قلايته ، ويخدمه وينفق عليه مدة ثلاثة اشهر، لكي ينال بركة خدمته .

وما أكثر الآباء، الذين بصبر كثير، فرغوا أنفسهم فترات طويلة لخدمة المرضى، وخدمة الشيوخ، كما فعل يوحنا القصير، مع ابيه الشيخ الأنبا بموا، في إحتمال عجيب، حتى تنيح بسلام ، ونال بركته . وقال عنه الأنبا بموا " هذا ملاك لا إنسان " .

وكان الآباء ، إن رأوا أحداً مرهقاً في عمل ، يمدون أيديهم في محبة ليحملوا العبء عنه ، كما قال الرب " تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (مت١١: ٢٨) .

محبة الخدمة :

وفى الخدمة نراعى أمرين: محبة الخدمة ، وروح الخدمة .

فمن جهة محبة الخدمة ، يحب الشخص أن يعين كل من هو فى حاجة، ولا يستطيع أن يقوم بنفسه . ومع محبة القلب لكل المحتاجين والإستعداد لمعونتهم ، قد يوجد تخصص فى الخدمة : فهناك من يجد لذة فى خدمة الأيتام بالذات ، وإعطائهم ما فقدوه من حنان الأبوة أو الأمومة . وهناك من يجد لذة فى خدمة المرضى ، أو العجائز، أو المسنين ، أو أطفال الحضانة ، أو المصدورين، أو العائلات الفقيرة ، أو الطلبة المتغربين ، أو الفتيات المعرضات للضياع أو للإنحراف ...

ومحبة الخدمة تلازمه فى بيته وفى عمله ، وفى كل مكان .

إن جلس على المائدة ليأكل، يطمئن أن الجالسين معه لا ينقصهم شئ، فيحضر لهذا كوب ماء. ويقرب من ذاك الملح أو الخبز .. وإذا انتهى الطعام يساعد فى ترتيب المائدة وحمل الأوانى، ولا يتركها ثقلاً على الوالدة أو الأخت أو الزوجة .

كذلك إن قام من فراشه ، يرتبه ، وإن خلع ملابسه ، لا يتركها مبعثرة هنا وهناك فى إنتظار من يجمعها .

لأن هناك من له خطأ مزدوج : فهو من ناحية لا يخدم غيره . ومن ناحية أخرى يترك نفسه ثقلاً على الآخرين ليخدموه .

والخادم الحقيقى إنسان حساس نحو إحتياجات الناس : يجلس ويدرس ويتأمل، ماذا يحتاج إليه الغير، وكيف يدبر لهم إحتياجاتهم.

وهذا أيضاً هو عمل الراعى النشيط والخادم الروحى الناجح ، الذى يدرس ما يحتاج إليه الناس ، يدبر المشروعات والأنشطة التى تفى بكافة إحتياجاتهم روحية ومادية، دون أن يطلبوا منه ذلك.

كثير منا من ينتقد الآخرين ، وقليلون من يهتمون بإصلاحهم.

النقد سهل يستطيعه كل أحد . ولكن إصلاح هؤلاء المخطئين ، هو العمل الروحى ، المملوء من المحبة العملية ، النافع للملكوت . لأنه لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى .

سهل أن تطرد ولداً شاذاً من فصلك . والمطلوب إصلاحه .

ولاشك أنها خدمة عميقة ولازمة ، أن يتفرغ البعض لخدمة الأطفال والطلبة الشواذ . ما أعظم أجر هذه الخدمة عند الله !

ما أجمل أن تخدم الأماكن التى لايوجد فيها أسم المسيح على الأطلاق ، أو أن تخدم الذين يسخرون من الدين والتدين ! أو الذين لا يخدموا الكنيسة قبلاً ، ولا يريدون ...

غالبية الخدام يبحثون عن الخدمة السهلة المعدة ، وأن يدخلوا

على ما لم يتعبوا فيه ، ويبنوا على أساس وضعه آخر ...

أما المجاهدون الكبار ، فهم الذين يتعبون فى تأسيس خدمات غير موجودة ، ولا مانع أن يدخل خدام آخرون على تعبهم .. فهكذا فعل السيد المسيح ، وترك لنا مثالاً لنعمل .

قال الرب : الحصاد كثير ، والفعلة قليلون . أطلبوا من رب الحصد أن يرسل فعلة لحصاده . وفى كل مكان نجد هذا الإحتياج .

ولعلنا نقول : كان الفعلة قليلين فى ذلك الزمان يارب . أما الآن فلنا عشرات الآلاف من الخدام يعملون فى كرمك . فهل مازالت تنطبق علينا عبارة " الفعلة قليلون " ؟!

نعم . الفعلة الذين لهم قوة الروح فى الخدمة قليلون.

أقصد الفعلة الذين يعمل فيهم روح الله بقوة ، الذين لخدمتهم تأثيرها العميق وثمرها المتكاثر . لاشك فى أن هؤلاء قليلون . فالمسألة ليست مسألة عدد، وإنما المهم هو وجود الخدام الذين لهم فاعلية و تأثير، وقوة وروح. الذين فى أفواههم كلمة الرب الحية الفعالة .

فاعلية الخدمة

إن الإثنى عشر لم يبدأوا الخدمة إلا بعد أن حل الروح القدس عليهم ونالوا منه قوة (أع١: ٨) ، ولبسوا قوة من الأعالى (لو ٢٤:

٤٩) . حينئذ " إلـى أقاصى المسكونة بلغت أصواتهم " وفى كل الأرض خرج منطقهم " (مز١٩: ٤) ...

أسطفانوس الشماس ، لأنـه كـان مملـوءاً مـن الـروح القـدس والحكمة، لذلك لما وقفت أمامه ثلاثة مجامع فلسفية " لـم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به " (أع٦: ١٠) .

وبفاعلية عمل الروح فى العصر الرسولى " كـانت كلمـة الـرب تنمو ، وعدد التلاميذ يتكـاثر جداً فـى أورشـليم .." (أع٦: ٧) " وكان الرب كل يوم يضـم إلـى الكنيسـة الذيـن يخلصـون " (أع٢: ٤٧) " والكنائس فى جميع اليهوديـة والجليـل والسـامرة ، كـان لهـا سـلام ، وكـانت تبنـى وتسـير فـى خـوف الـرب . وبتعزيـة الـروح القدس كانت تتكاثر " (أع٩: ٣١) .

أمـا نحـن فلنـا عشـرات الآلاف مـن المدرسـين ، ولكـن الخـدام العاملين بالروح قليلون ...

تأملوا خادماً واحداً مثل بولس الرسول .. لاشك أن إختياره كان حادثاً خطيراً فـى الكنيسـة . لقد تعب أكـثر مـن جميـع الرسـل (١كو١٥: ١٠) . وتألم وجاهد أكثر من الكل " عدا الأهتمام بجميـع الكنائس " وغيرته التى يقول فيهـا " مـن يعثـر ، وأنـا لاألتهـب ؟! " (٢كو١١: ٢٨،٢٩) . هذا الذى دُعى " رسـول الأمـم " . ووصلـت

خدمته من أورشليم إلى أنطاكية إلى قبرص ، ثم إلى آسيا الصغرى وبلاد اليونان ، وإلى رومه ... وكتب ١٤رسالة ، وكرز وهو في السجن .

أننا مستعدون أن نستغنى عن عشرات الآلاف من الخدام الذين معنا ، في مقابل بولس واحد ...

وستكون خدمته أكثر فاعلية من الآلاف ...

ربما نجد في أحد فروع الخدمة خمسين خادماً ، ولكن بلا حرارة في خدمتهم . ثم يلتحق بالخدمة خادم جديد ، فيُحول الخدمة إلى لهيب نار بقوة الروح الذي فيه ...

إن ألسنة النار التي حلت على التلاميذ في يوم البندكستي ، أعطتهم لساناً نارياً وكلمات نارية ، وخدمة لها لهيب وفاعلية ، وحرارة في الروح ، وحرارة في الصلاة ، وحرارة في الحركة والأسفار ..

إنها جمرات نار ، ظل العالم يتقاذفها ، حتى أشتعل العالم كله ناراً ، ألهبت القلوب بالإيمان ...

أنظروا ماذا فعل أوغسطينوس مثلاً ، حينما دخل في محيط الخدمة .. وكيف أن تأثيره لم يقتصر فقط على جيله ، وإنما حتى الآن مازلنا نستفيد من تأملاته ..

وتادرس تلميذ باخوميوس ، لما صار راهباً ، كم كان أعمق التأثير الذى أحدثه فى الحياة الرهبانية فى جميع الأديرة . وكذلك يوحنا القصير الذى قيل عنه إن الأسقيط كله كان معلقاً بأصبعه ..

حقاً ، هناك أشخاص فى كل جيل ، مميزون فى خدمتهم . خدّام من طراز خاص . كل منهم " معلّم بين ربوة " (نش٥: ١٠)

أما نحن الآن : فلنا خدام يخدمون الفصول العادية . ولكن الذين لهم قدرة على خدمة إجتماعات الشبان والشابات ، والأسرات الجامعية ، وإعداد الخدام ، أو الذين يتكلمون فى مؤتمرات الخدمة. فلاشك أنهم قليلون ...

والعجيب ، أنه على الرغم من إحتياج الخدمة ، نجد خداماً يتشاجرون ويتنافسون فى مكان للخدمة ، تاركين ميادين عديدة غير مخدومة .

فى تشاجرهم وتنافسهم ، لايعطون مثالاً عن روحانية الخدام ، بل يكونون عثرة ، إذ يفقدون روح المحبة والتعاون وإنكار الذات. وفى نفس الوقت توجد مجالات عديدة تستوعب كل طاقة مستعدة للخدمة ، وهم يتجاهلونها ، من أجل محبتهم لمكان أو وضع بالذات، دون محبة النفس البشرية أينما كان موضعها ...!

مجالات الخدمة :

إننا لو أحببنا النفوس المحتاجة فى كل مكان، ما تنافسنا مطلقاً

على خدمة . فالميادين واسعة. والخدمة بذل وليست تنافساً.

الذى يتنافس فى الخدمة ، إنما تهمه ذاته وليس الخدمة .

فإن كانت الخدمة تشغل كل قلبه ، فإنه يعمل على نجاحها بأية الطرق ، وعلى يد أى شخص غيره . فالمهم هو نجاح الخدمة .

والذى يحب الخدمة ، لايشكو إن ثقلت أعباؤها عليه .

بل هو على العكس يفرح بنمو الخدمة ، ويجد لذة فى أن يحمل أثقال الناس ، كما حمل المسيح أثقال العالم كله .

ولذلك فإن هذا الخادم لايرفض أية خدمة تُعرض عليه ، ولا يفضل خدمة على أخرى ، فيقبل هذه ويرفض تلك ...!

لأن هنا يبدو المزاج الخاص، وليس الإهتمام بإحتياج الآخرين!

إن الخدمة تتسع للجميع . كل من يريد ، يجد مجالاً .

ما أجمل أن نجد مجالاً فى الخدمة للأشخاص الفاضلين الذين "يحالون إلى المعاش" مستفيدين من وقت الفراغ الذى لهم ، ومن وقار السن ، ومن خبرة الحياة ، ومن مواهبهم ومقدراتهم المتعددة. كما أن الخدمة تعطيهم حيوية ونشاطاً ، وتشعرهم بأن رسالتهم فى الحياة لم تنته ، وأن الكنيسة والمجتمع لا يستغنيان عنهم . فالخدمة تستفيد منهم ، وهم أيضاً يستفيدون منها .

كذلك توجد مجالات واسعة لخدمة النساء فى الكنيسة .

سواء فى مدارس الأحد ، أو الخدمة الإجتماعية ، أو الإشراف

على نظافة الكنيسة ، وعلى تنظيم النساء فيها ...

والمرأة يمكن أن تُكرس للخدمة ، وتعمل عمل الشمامسة .

وفى هذا المجال يمكن أن تشرف على خدمات معينة ، مثل دور الحضانة ، وخدمة المشاغل ، وترتيب النساء فى التناول ، وأثناء المعمودية . كما تخدم فى إفتقاد العائلات، وفى زيارة المرضى، وفى مجال العزاء ، وفى الإشراف على بيوت الطالبات، وعلى بيوت المغتربات ..

حقاً كما قال الرب : فى بيت أبى منازل كثيرة .

ليس فقط فى الأبدية ، وإنما على الأرض أيضاً، يوجد منازل ومنزلة لكل أحد فى بيت الله ...

مميزات الخدمة الروحية :

١ - حرارة الخدمة وإلتهابها :

إنها الخدمة الباذلة التى لا تقف عند حدّ.. مثلها قول الرسول "إذ الضرورة موضوعة علىّ، فويل لى إن كنت لا أبشر.. أستعبدت نفسى للجميع ، لأربح الكثيرين .. صرت للضعفاء كضعيف ، لأربح الضعفاء. صرت للكل كل شئ، لأخلص على كل حال قوماً.. (١كو٩: ١٦- ٢٢) .

٢ - الإفتقاد فى الخدمة :

آباؤنا الرسل لم يؤسسوا خدمات ويتركوها بلا متابعة . بل على العكس ، كانوا يتابعون خدمتهم ويفتقدونها بشتى الوسائل: بالرسائل، بتلاميذ من قبلهم ، كما كان بولس يرسل تيطس أو تيموثاوس، وكثيراً ما كانوا يفتقدونهم بزيارات خاصة، كما قال القديس بولس عبارته المملوءة محبة " لنرجع ونفتقد أخوتنا فى كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم" (أع١٥: ٣٦) .

٣ - خدمة مملوءة بالروح القدس :

وما أجمل قول الكتاب فى ذلك " وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع. ونعمة عظيمة كانت على جميعهم " (أع٤: ٣٣) .

من طبيعة الخدمة الروحية أنها قوية، لأنها بالروح ..

ولأن كلمة الرب " حية وفعالة، وأمضى من كل سيف ذى حدين..." (عب٤: ١٢). ولذلك فإنها " لا ترجع فارغة ، بل تعمل كل ما يسرّ الرب به ، وتنجح فيما يرسلها له (أش٥٥: ١١) .

٤ - خدمة مملوءة حباً :

السيد المسيح " أحب خاصته ... حتى المنتهى " (يو١٣: ١)

وبنفس الحب خدم الرسل . فلم تكن مجرد خدمة رسمية ...



الباب الثانى

قوة الخدمة



قوة الخدمة

إن قوة الخدمة تكمن فى عمق تأثيرها، وليس فى كثرة المخدومين .

ليس المهم عدد السامعين ، بل عدد التائبين منهم .

نعم ، قوة الخدمة ليست فى عدد التلاميذ، إنما فى عمق الإيمان الذى فيهم .. إن العظة قد يسمعها عدد كبير من الناس . ولكننا لا ندرى كم هم الذين تأثروا بها، وكم هم الذين حولوا هذا التأثير إلى حياة . وتحسب قوة العظة بمقدار الذين حولتهم إلى الحياة مع الله .

واجتماع الخدام لا تحسب قوته بعدد المحاضرات أو الخدام الحاضرين.

إنما قوة إجتماع الخدام هى فى عدد ما ينتجه من المكرسين .

والكنيسة التى لا تقدم مكرسين للخدمة، أو للكهنوت أو للرهبنة، بلاشك خدمتها ضعيفة . لأن الخدمة القوية هى خدمة ولود ...

وهناك ملاحظة ، وهى أن الخدمة قد لا تأتى بنتيجة سريعة !!

ولكنها لابد أن تأتى بنتيجة ، ولو بعد حين ..

القديس بولس الرسول بكل عظمتـه الروحية ، وبكل قوتـه فـى الخدمة : لما تكلم فى أثينا عاصمة اليونـان استهزأوا بـه، وتهكمـوا عليه قائلين " ماذا يريد هذا المهزار أن يقول؟!" (أع ١٧: ١٨) .. ولـم يخرج بنتيجـة إلا بشـخص واحـد هـو ديونسيوس الأريوبـاغى الذى صـار أسقفاً لأثينا فيما بعد .. ولكن مـا لبثـت أثينـا أن صـارت كلها مسيحية بعد حين .

السيد المسيح كـانت لـه خدمـة عامـة وسـط الجمـوع والآلاف . وكانت له أيضاً خدمة وسط سبعين رسولاً .

ولكن كـانت هنـاك خدمـة مركزة وسـط الأثنـى عشـر . وهـذه ظهرت قوتها العظيمة فى نشر الإيمان .

هؤلاء الذين لا قول لهم ولا كلام ، إلى أقصـى المسـكونة بلغت أقوالهم (مز ١٩) . وعلى أيديهم كان ملكوت اللـه قـد أتـى بقـوة .. ومعهم أيضاً كانت القوة التى عمل بها القديس بولس بحسب النعمـة الممنوحة له. هذا الذى قال " قد تعبت أكثر من جميعهم. ولكن لـيس أنا، بل نعمة الله العاملة معى " (اكو ١٥: ١٠) .

أتذكر إننى حينمـا كنـت طالبـاً فـى الكليـة الإكليريكيـة ، وكـانت دفعتنا خمسة طلبة، أن وقف أحد الأساتذة فى حفل التخرج وقال:

نحن لا ندرّس خمسة طلبة فى الكلية، وإنما خمس مدن .

كان يعتبر كل طالب منا مدينة ، أى أنه بعد التخرج سيتكرس خادماً للرب يتولى رعاية إحدى المدن . وللأسف لم يتكرس من دفعتنا سوى طالب واحد ..

نعود إلى خدمة الآباء الرسل فنقول إن خدمتهم لم تكن تقاس بعدد الذين يسمعونهم ، وإنما يقول الكتاب فى ذلك :

"**وكان الرب فى كل يوم يضم للكنيسة الذين يخلصون**" (أع ٢: ٤٧).

نعم ، الذين يخلصون ، وليس كل الذين يسمعون .. هنا قوة الكلمة التى تفتح الطريق إلى الخلاص ...

وهكذا عندما توليت مسئوليتى الحاضرة ، بدأت بتقسيم الإيبارشيات لكى يكون كل أسقف مسئولاً عن منطقة محددة ، يستطيع فيها أن يخدم منطقة مركزة، تكون خدمته فيها قوية ومثمرة.. وقد كان ...

فى القديم كان المطارنة مسئولين عن إيبارشيات واسعة جداً ، لا يقوى المطران على رعايتها كلها . أما الآن فكل أسقف يستطيع أن يزور كل مدينة وكل قرية فى إيبارشيته، ويرعى الجميع ...

ونفس الوضع نقوله بالنسبة إلى كل كاهن فى كنيسته ...

لم يكن صالحاً للخدمة أن يكون أب كاهن وحده فى كنيسة، يقوم

برعاية عدة آلاف، يبلغون فى بضع الكنائس خمسة عشر ألفاً أو أكثر. فكان لابد من سيامة كهنة جدد فى الكنائس تتوزع عليهم الخدمة، فيقومون بها بجدية، يهتمون بكل فرد ويقودونه إلى حياة التوبة والنقاوة .

فليست قوة الخدمة فى عدد التابعين لك، وإنما فى عدد الذين توصلهم إلى معرفة الله ومحبته .

بعض الطوائف قد يكثر عدد الحاضرين فى اجتماعاتها، بسبب المعونات المادية التى تقدم لهم، بينما لا يكون الإيمان ثابتاً فى قلوبهم. فإن توقفت المعونات ، توقف الحضور إلى الكنيسة !! فهل ندعو هذه خدمة ؟!

وهناك كنائس تهتم بالأنشطة وليس بالروحيات !!

فتجد فى الكنيسة المشغل والمعرض لعمل السيدات، وتجد النادى للشباب، وبيتاً للمغتربين وآخر للمغتربات. وكذلك تجد بيتاً للمسنين، مع عدد آخر من المشروعات ، دون الإهتمام بالحياة الروحية. ولكن حسناً قال الرب "وكان ينبغى أن تفعلوا هذه ولا تتركوا تلك" (مت٢٣: ٢٣) .

أما الخدمة الروحية ، فهى الخدمة القوية فى تأثيرها .

بطرس الرسول بعظة واحدة فى يوم الخمسين، قد جذب إلى

الإيمان ثلاثة آلاف نفس (أع ٢). وهذه القوة التى تميزت بها العظة، كان سببها أن قائلها كان ممتلئاً بالروح القدس .

لم يقل الكتاب أن الناس تابوا نتيجة لعظته، وإنما نخسوا فى قلوبهم، وقبلوا الإيمان ، واعتمدوا . بينما وعاظ كثيرين يلقون آلاف العظات، ولا يدخل فى الإيمان شخص واحد ...

بولس الرسول - وهو أسير - حينما كان يتكلم عن البر والدينونة والتعفف، ارتعب فيلكس الوالى (أع ٢٤: ٢٥) .

السيد المسيح قال كلمة واحدة ، جعلت سامعها يترك كل شئ ويتبعه .

كان متى جالساً فى مكان الجباية ، فقال له السيد "اتبعنى" . فترك مكان الجباية وتبعه . ولم يقل له محاضرة فى التكريس ، وإنما كلمة واحدة، ولكنها كلمة قوية فى تأثيرها وفى روحها جعلته يترك كل شئ ويتبعه .. وهكذا حينما قال لسمعان بطرس وإندراوس أخيه "هلما ورائى، فأجعلكما صيادى الناس " .

المهم هو عمق الكلمة ، وقوة تأثيرها .

وليس عدد العظات أو عدد المؤلفات ، أو كثرة الأنشطة أو كثرة المؤسسات .. هذه هى الخدمة التى نريدها : أشخاص لهم قوة الروح، يكرزون كرازة لها قوة التأثير ، وكلمتهم لا ترجع إليهم

فارغة، بل تأتى بثمر ، وثمر كثير ...

ما هى إذن عناصر القوة فى الخدمة ؟

هى مقدار ما فى الخدمة من عمق ، ومن حب وبذل. وأيضاً ما فيها من تأثير، ومن قدرة على تغيير النفوس إلى أفضل .

ومن الأمثلة على القوة فى العمل، ذهاب أبينا أبراهيم ليقدم إبنه الوحيد إسحق محرقة حسب أمر الرب له ...

لاشك أن أبانا إبراهيم قدم ذبائح لا نستطيع أن نحصيها ، فى كل مكان كان يذهب إليه . ولكن هذه الوحيدة هى التى لا يمكن أن تنسى وسط جميع ذبائحه . مع أنها كانت بمجرد النية ولم تتم !!

كانت هذه الذبيحة (بالنية) أعظم من جميع ذبائحه التى تمت فعلاً .

بل كانت أعظم من جميع الذبائح التى قدمها الناس طوال عصور التاريخ. وقد سجلها الكتاب، كدرس للأجيال، لأنها تحمل قوة لا يعبر عنها فى الحب والبذل، وفى الطاعة والإيمان، وفى ضبط النفس ..

عمل آخر له قوته ، هو تقديم الأرملة للفلسين. إنه مبلغ بسيط، ولكنه كان من أعوازها. لذلك امتدحها الرب، واعتبر إنها قد أعطت أكثر من الجميع. القوة هنا هى فى نوعية العمل، وليس فى

كميته.. لأنها أعطت من أعوازها، وهى محتاجة وفقيرة وأرملة .

ويمكن أن توجد للأرملة التى أعطت الفلسين، أمثلة فى الخدمة منها ذلك الخادم، الذى لا يمكن أن يعتذر عن الخدمة، وهو فى أيام الامتحانات، مع احتياجه لكل دقيقة للمذاكرة والمراجعة والأستعداد للامتحانات.. ولكنه يذهب إلى الخدمة. ولا ينسى له الله ذلك أبداً . لأن الوقت الذى أعطاه للخدمة، قد أعطاه من أعوازه..

ومثله الذى يذهب إلى الخدمة. وهو مريض، ومحتاج إلى الراحة. ولكنه يبذل من هذه الراحة التى هى من أعوازه، ويقدمها للخدمة . وبالمثل الموظف الفقير المحتاج ، الذى كل مرتبه لا يكفيه. ومع ذلك يقدم العشور، وربما يكون مديوناً وقتذاك .

إن العطاء من الأعواز ، يدل على حب وإيمان :

حب للذين يعطيهم ، ولله الذى أعطى الوصية .

وإيمان بأن الله لابد أن يعوض ، ويبارك القليل .

كما يدل هذا العطاء أيضاً على الإهتمام بالغير أكثر من الذات، ففيه إذن إنكار للذات. وهكذا فعلت أرملة صرفة صيدا، حينما قدمت قليل الدقيق والزيت الذى عندها لإيليا النبى، أثناء المجاعة...

قوة العمل تظهر أيضاً فى قصة داود أمام جليات ...

إن حروباً كثيرة عرفها العالم وسجلها التاريخ . ولكن لا يوجد

فيها كلها ما يماثل حرب داود مع جليات ..

كان داود طفلاً بالقياس لذلك الجبار . لم تكن له قوته ولا اسلحته، ولا خبرته في الحروب، ذلك الذي خاف منه كل الجيش ..

ولكن قوة داود كانت في غيرته وفي إيمانه ..

غيرته في قوله " من هو هذا الأغلف حتى يعير شعب الله؟! " وأيضاً في قوله " أنا أذهب وأحاربه " ..

أما إيمانه ففي قوله لذلك الجبار " اليوم يحبسك الرب في يدى " أنت تأتيني بسيف ورمح، وأنا آتيك باسم رب الجنود .." .

من أجل قوة داود – في غيرته وإيمانه – هتفت النسوة قائلات "ضرب شاول ألوفه، وداود ربواته " .. فما هي تلك الربوات ؟

كانت هذه المرة الوحيدة في حروب داود تساوى ربوات ...

كم من حرب خاضها داود، وكم كانت له من انتصارات ، فيما بعد وهو قائد عظيم. ولكنها كلها لا تقاس بتلك الحصاة الملساء التي إرتكزت بإيمانه في رأس جليات .. كانت تساوى ربوات، إذ كان لها عمق معين، في غيرته التي لم تقبل تعييرات ذلك الجبار. كذلك كان هناك عمق آخر في عدم خوفه، وعدم رهبته للموقف، بل تقدمه للصفوف بمقلاعه وحصواته بكل إيمان أن الله سيدفع الجبار إلى يده، إلى يده الصغيرة الملساء مثل حصاته..! حقاً هذه قوة ...

ليست مجرد العمل ، بل القوة التى فيه ، الإيمان الذى فيه ...

قوة الخدمة قد تظهر أيضاً فى نتائجها :

مثل قوة القديس أثناسيوس الرسولى فى الدفاع عن الإيمان. وكيف أنه استطاع أن يحول دفة الموقف كله . وكما قال عنه القديس جيروم : "مرّ وقت كاد فيه العالم كله أن يصبح أريوسياً، لولا أثناسيوس" ... وبالمثل نقول عن قوة حياة القديس أنطونيوس الكبير ، التى جذبت بتأثيرها الكثيرين، حتى إنتشرت تلك الحياة الملائكية فى العالم أجمع ..

هناك خدمة قوية ، ولا يلاحظها الناس ، لأنها فى الخفاء .

قد يكون هناك اجتماع ناجح، وتلقى فيه عظة قوية لها تأثير عميق. وربما يكون سبب هذا النجاح كله، اجتماع صلاة من أجل الاجتماع. ركب منحنية أمام الله تصلى من أجل أن يمنح الله كلمة للواعظ واستجابة من المستمعين .. هؤلاء المصلون لا يراهم أحد، ولكنهم يمثلون قوة فى الخفاء ...

الناس يعجبون بالنجف الساطع الضياء، ولا يرون الموتور المولد للكهرباء !

ويمتدحون الضياء الذى يرونه، ولا يذكرون إطلاقاً المولد الكهربائى الذى هو سبب القوة . لكنه يعمل فى الخفاء. إنها خدمة

الأساس المخفى وليس البناء الظاهر.

وكم من خدمات قوية جداً تعمل فى الخفاء، ولا يراها أحد، مثل إرجاع مرتد إلى الإيمان، أو هداية فتاة منحلة، أو مصالحة أسرة متخاصمة. إنها خدمة فى الخفاء، ولكنها قوية. وقد تكون وراءها خدمة أخرى قوية، وفى الخفاء. وهى قداس مرفوع لأجلها، وله قوته ..

هناك نوع آخر من الخدمة القوية غير الظاهرة وهى الخدمة الفردية :

الناس دائماً يمتدحون الاجتماعات العامة القوية . ونادراً ما يلتفتون إلى الخدمة الفردية التى قد تكون أكثر وقعاً وتأثيراً وتأتى بنتيجة قوية فى القيادة إلى الملكوت . وتدخل فيها أيضاً خدمة الافتقاد، والجلسة الروحية بين أحد الآباء الكهنة وأسرة من رعيته. تُرى لو خيرت بين إلقاء عظة فى اجتماع يحضره المئات، وخدمة فردية لشاب ضال، أيهما تختار؟

لعازر الدمشقى سافر فى خدمة هامة لإختيار زوجة لاسحق أصبحت جدة للمسيح. وقد يسرّ الله طريقه. ولاشك أن أبانا ابراهيم كان يصلى بحرارة من أجل ذلك . وهنا نسأل :

أكان نجاح المهمة بسبب صلاة أبينا إبراهيم، أم بإخلاص لعازر الدمشقى؟

قطعاً كان النجاح بكليهما : بالعمل الظاهر للعازر في أمانته ومحبته لسيده ، وفي العمل المخفي لإبراهيم. وقبل كل شئ لنعمة الله الذي " يسرّ طريقه "، وهكذا في الخدمة القوية ، تتحد قوة العمل وقوة الصلاة .

هناك نوع آخر من الخدمة القوية، وهو خدمة القدوة والبركة.

خدمة القدوة هي خدمة صامتة، ولكنها ذات تأثير أقوى من خدمة الكلمة، لأنها تقدم النموذج العملي للحياة الروحية، وهو بلاشك أقوى من مجرد الكلام عن تلك الحياة ...

أما خدمة البركة ، فتتجلى في حياة أولئك الذين كانوا بركة في أجيالهم. لقد قال الرب أثناء شفاعة ابراهيم في مدينة سادوم " إن وجد عشرة (ابرار)، لا أهلك المدينة من أجل العشرة " (تك ١٨). لم يقل إن صلى هؤلاء العشرة من أجل المدينة، وإنما إن وُجدوا. مجرد وجودهم هو خدمة كبيرة لأجل المدينة .. لا يهلكهم الرب لأجلهم ..

كان إيليا بركة في بيت أرملة صرفة صيدا. وكان أليشع بركة في بيت الشونمية. وكان يوسف الصديق بركة في أرض مصر .

بل كان أبونا نوح بركة للعالم كله . من أجله استبقى الله حياة للبشر استمرت على الأرض .



الباب الثالث

النمو في الخدمة



النمو فى الخدمة

فى الواقع أن النمو هو شرط أساسى من شروط الخدمة الناجحة. فالخدمة الروحية هى خدمة دائمة النمو .

ونمو الخدمة له مظاهر متعددة . فهو نمو فى العدد ، سواء بالنسبة إلى الخدام أو المخدومين . وكذلك فى تفاصيل الخدمة وفى نوعيتها . كما أنه أيضاً نمو فى الروح . ولنبدأ بالنمو فى العدد :

النمو فى العدد :

ولعل أبرز مثال لذلك هو خدمة السيد المسيح ورسله القديسين:

بدأ السيد المسيح بإثنى عشر تلميذاً (مت١٠) ثم بسبعين آخرين (لو١٠) نسمع عن مائة وعشرين يوم اختيار متياس (أع١: ١٥) . ونسمع أيضاً عن أكثر من خمسمائة أخ ظهر لهم السيد دفعة واحدة بعد قيامته (١كو١٥: ٦) . كما نعرف أنه كانت تزحمه الجموع، وآلاف كانوا يسمعونه (يو٦: ١٠) .

وإزداد العدد، فاعتمد ثلاثة آلاف فى يوم الخمسين (أع٢: ٤١)

وبعد شفاء الرجل الأعرج على باب الجميل ، آمن كثيرون

"وصار عدد الرجال نحو خمسة آلاف " (أع٤: ٤) . واستمر النمو حتى يقول الكتاب فيما بعد " وكان مؤمنون ينضمون إلى الرب أكثر، جماهير من رجال ونساء" (أع٥: ١٤) .

بل فى كل يوم ، كان ينضم إلى الكنيسة مؤمنون جدد .

وفى ذلك يروى سفر أعمال الرسل فيقول " وكان الرب فى كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون " (أع٢: ٤٧) . ويتطور الأمر حتى قبل وقت اختيار الشمامسة السبعة "وكانت كلمة الرب تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً فى أورشليم ، وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان " (أع٦: ٧) ؟

ثم بعد ذلك نسمع عن إنضمام مدن وشعوب .

ليس فقط فى أورشليم ، وإنما أيضاً فى كل اليهودية والجليل والسامرة . حتى الذين تشتتوا من جراء الإضطهاد ، "جالوا مبشرين بالكلمة " (أع٨: ٤) . وإذا بالسامرة قد آمنت ، وأرسل إليها مجمع الرسل بطرس ويوحنا لكى يمنحاهم الروح القدس بعد أن اعتمدوا (أع٨: ١٤- ١٧) . ويسجل سفر أعمال الرسل عبارة جميلة جداً عن هذا النمو يقول فيها :

" وأما الكنائس فى جميع اليهودية والجليل والسامرة ، فكان لها سلام ، وكانت تبنى وتسير فى خوف الرب . وبتعزية الروح

القدس كانت تتكاثر " (أع٩: ٣١) .

وانتقل العمل الكرازى إلى " فينيقية وقبرص وأنطاكية " " وآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب " . " واجتمع برنابا وشاول فى الكنيسة فى أنطاكية سنة كاملة ، وعلما جمعاً غفيراً . ودُعى التلاميذ مسيحيين فى أنطاكية أولاً " (أع١١: ١٩- ٢٦) .

وبنشاط القديس بولس الرسول ومساعديه إزداد نمو الكنيسة ، وانضم إليها كثيرون من بلاد اليونان ، فى مكدونية ، فى تسالونيكى، وفيلبى، وبيريه، وغير ذلك " فآمن كثيرون منهم ، ومن النساء اليونانيات الشريفات ، ومن الرجال عدد ليس بقليل " (أع١٧: ١٢) . ثم انتقل الإيمان إلى أثينا (أع١٧) .

وانتقل الإيمان إلى رومه ، حيث ذهب إليها القديس بولس وبشرها .

وهناك " أقام بولس سنتين كاملتين فى بيت أستأجره لنفسه . وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه ، كارزاً بملكوت الله ، ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح ، بكل مجاهرة بلا مانع " (أع٢٨: ٣٠، ٣١) . وذهبت الكرازة إلى مصر والشرق ، وهكذا إزداد النمو عددياً وجغرافياً ، وتحققت فيهم نبوءة المزمور :

" فى كل الأرض خرج منطقهم، وإلى أقصى المسكونة كلماتهم"

(مز١٩: ٤) .

واستطاعت كنيسة الرسل فى حوالى ٣٥ سنة بعد القيامة ، أن تنفذ وصية السيد المسيح الذى قال لتلاميذه " وتكونون لى شهوداً فى أورشليم ، وفى كل اليهودية والسامرة ، وإلى أقصى الأرض " (أع١: ٨) . وأيضاً قوله لهم " اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم.." (مت٢٨: ١٩) . " اذهبوا إلى العالم أجمع ، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها " (مر١٦: ١٥) .

وقد نجحوا فى ذلك ، على الرغم من كل المقاومات ...

سواء مقاومات اليهود ومؤامراتهم ، والقائهم فى السجون ، أو مقاومات مجامع الفلاسفة (أع٦: ٩) ... أو محاكمات الدولة الرومانية . وعلى الرغم من الإضطهادات المريرة وعصور الإستشهاد القاسية ، وعلى الرغم أيضاً من قلة الإمكانيات التى كانت لهم .

نقول هذا لنعاتب ، ليس فقط الذين توقف نموهم ، بل نقص عددهم فى بعض المناطق بنمو عمل الطوائف الأخرى وأنشطتهم وإغراءاتهم !!

كل من تقابله ، كلمه لتجذبه إلى الله أرثوذكسياً كان أو غير أرثوذكسى .

اذهب والقِ بذارك على كل أرض ، كما فى مثل الزارع الذى

ألقى البذار ، ليس فقط على الأرض الجيدة ، وإنما حتى على الأرض المحجرة والأرض المليئة بالشوك، والأرض التي ليس لها عمق (مت١٣: ٣-٩) . وفي عملك كخادم ، اذكر الرمز في كلمة الرب التي قالها منذ بدء الخليقة ، وفي أيام نوح :

" اثمروا واكثروا واملأوا الأرض ، واخضعوها " (تك١: ٢٨) (تك٩: ١) .

ولا تؤخذ هذه الآية من الناحية الجسدانية أو المادية فقط ..، وإنما بمعناها الروحي أيضاً .. وعبارة " اخضعوها " في (تك١: ٢٨) . تعني من الناحية الروحية " اخضعوها لكلمة الله، أو لوصيته. وهكذا نصلي كل يوم قائلين في المزمور " فلتعترف لك الشعوب يا الله، فلتعترف لك الشعوب كلها ... ليُعرف في الأرض طريقك ، وفي جميع الأمم خلاصك " (مز٦٧: ٢، ٣) .

والعجيب أن داود النبي صلى هذا المزمور في وقت كان اليهود فيه ينادون بأنهم شعب الله المختار !! ولكنه صلّى من اجل الشعوب ، ومن أجل خلاص الأمم كلها ... ألعلها كانت نبوءة عن خلاص الأمم ؟ أو هي معرفة نبوية بمحبة الله لكل الشعوب ، وإنتشار الإيمان بين الكل ...!

أمثلة للنمو :

✧ أعطانا الرب فكرة عن ذلك فى مثل "حبة الخردل "، إذ قال: "يشبه ملكوت السموات حبة خردل . أخذها إنسان وزرعها فى حقله . ولكن متى نمت، فهى أكبر البقول ، وتصير شجرة . حتى أن طيور السماء تأتى وتتآوى فى أغصانها " (مت١٣: ٣١، ٣٢) .

إن مثل البذرة النامية يبكتنا كثيراً فى خدمتنا .

كيف أن بذرة صغيرة تصير شجرة عظيمة ، بنموها ... وأنت أيها الخادم ، هل نموت وزدت نمواً حتى تآوت الطيور فى أغصانك ؟ أم لا تزال بذرة فى الأرض ؟!

✧ مثال آخر قاله الرب فى (مر٤: ٢٦ – ٢٨) :

" هكذا ملكوت الله : كأن إنساناً يلقى البذار على الأرض . وينام ويقوم، ليلاً ونهاراً ، والبذار يطلع وينمو، وهو لا يعلم كيف ؟ لأن الأرض من ذاتها تأتى بثمر : أولاً نباتاً ، ثم سنبلاً ، ثم قمحاً ملآن فى السنبل " (مر٤) ... فهل خدمتك التى بدأت كحبة قمح، أصبحت سنابل ملآنة ، وأنت لا تعلم كيف، لأن روح الله قد عمل فيها بعد أن ألقيت بذارك، واصبح النبات ينمو من ذاته ويأتى بثمر.

✧ مثال ثالث هو الزرع الجيد ، الذى أتى بثمر ، ثلاثين وستين ومائة (مت١٣: ٢٣) . أما مرقس الرسول فيقول عن هذا النوع من الزرع " وسقط آخر فى الأرض الجيدة ، فأعطى ثمراً يصعد وينمو، فأتى واحد بثلاثين ، وآخر بستين، وآخر بمائة " (مر٤: ٨).

جميلة هنا عبارة " أعطى ثمراً يصعد وينمو " ...

✧ مثال رابع هو زنابق الحقل (مت٦: ٢٨، ٢٩) . لست أتكلم هنا عن جمال زنابق الحقل ، التى ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها . ولست أقصد التركيز على الإيمان فى كيف أن الله قد ألبسها هذا الجمال، إنما ألفت النظر هنا إلى قول الرب عن هذه الزنابق :

" تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو ... " (مت٦: ٢٨) .

ألا نأخذ درساً من هذه الزنبقة البسيطة ، كيف تنمو فنتمتع نحن بجمالها ورائحتها ... بل ليست الزنبقة فقط، إنما كل شجرة تنمو، سواء الجزء الظاهر لنا منها فوق سطح الأرض، بل أيضاً جذورها المخفاة تنمو ...

وهنا نقول لك ملاحظة أخرى ، إلهية وكتابية ، وهى :

كلما تنمو وتأتى بثمر ، ينقيك الرب لتأتى بثمر أكثر .

وهكذا يقول الرب عن الكرمة والأغصان " أنا الكرمة وأبى الكرّام . كل غصن فيّ لا يأتى بثمر ينزعه . وكل ما يأتى بثمر ، ينقيه ليأتى بثمر أكثر " (يو١٥: ١، ٢) .

✧ مثال آخر في النمو هو النخلة والأرز ، حيث يقول الكتاب: " الصديق كالنخلة يزهو، كالأرز في لبنان يعلو" (مز٩٢: ١٢).

هل رأيت النخل والأرز ، كيف ينمو، ويزهو، ويعلو؟ إن كنت صديقاً فافعل هكذا ، سواء في روحياتك أو فى خدمتك ..

هنا ننتقل إلي نوع آخر من النمو ، هو النمو الروحى .

النمو الروحى :

يقول الأب الكاهن فى أوشية الإجتماعات فى القداس الإلهى "وأما شعبك فليكن بالبركة ألوف ألوف، وربوات ربوات، يصنعون مشيئتك " ...

ليس المهم هو الألوف والربوات ، وإنما عبارة "يصنعون مشيئتك " .

ولسنا نقصد بنمو الخدمة مجرد النمو العددى ، إنما بالحرى النمو الروحى . وهكذا فى بدء كنيسة الرسل نرى هذا المبدأ واضحاً فى قول الكتاب "وكان الرب في كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون " (أع٢: ٤٧) ... إذن ليس مجرد إنضمام أشخاص

جدد هو الذى يمثل عضوية الكنيسة ، إنما الذين يخلصون .

لهذا جاهدوا من أجل النمو فى الخدمة ، واذكروا قول الرسول "إذن يا إخوتى الأحباء، كونوا راسخين غير متزعزعين، مكثرين فى عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب " (١كو١٥: ٥٨) .

النمو فى الخدمة هو إذن وصية إنجيلية .

القديس بولس الرسول يقول " مكثرين فى عمل الرب كل حين " والسيد الرب نفسه يقول " اثمروا واكثروا واملأوا الأرض " وأيضاً " أكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها " . فما مدى مساهمتك فى نمو هذه الخدمة ؟

لتكن خدمتك، إذن نامية عددياً وجغرافياً وروحياً .

إن لم تزد خدمتك فى العدد ، فلا تجعلها تقل . وأعطها عمقاً روحياً فى العدد القليل ، حتى لو كان مجرد أفراد أسرتك . قل حينئذ مع يشوع النبى " أما أنا وبيتى ، فنعبد الرب " (يش٢٤: ١٥)

إذن لا يكفى نمو عدد الذين يدخلون إلى الكنيسة ، بل يجب أن ينمو عدد الذين يتوبون ويعترفون ويتناولون .

لا تفرح فقط بازدياد عدد الذين ينضمون تلاميذ إلى فصلك ، بل بالحرى الذين ينضمون منهم إلى ملكوت الله .

ولا تفرح فقط بالذين يستمعون إلى دروسك ، بل بالحرى الذين يعملون بها ، وينفذون وصايا الله . كما قال السيد المسيح فى خاتمة عظته على الجبل " من يسمع أقوالى ويعمل بها ، أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر ..." (مت٧: ٢٤) . ولذلك نصلى نحن في أوشية الإنجيل ونقول للرب " اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نسمع ونعمل بأناجيلك المقدسة ... " .

إن النمو فى المعرفة لا يكفى ، بل يجب أن يكون النمو فى العمل بالأكثر .

لقد قال أيوب الصديق للرب " بسمع الأذن قد سمعت عنك . والآن رأتك عيناى " (أى٤٢: ٥) . إذن لا نقف عند عبارة " سمعت عنك " ، إنما يجب أن نتدرج منها إلى عبارة " رأتك عيناى " أو إلى قول المرتل فى المزمور " ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب (مز٣٤: ٨) .

هنا فى النمو الروحى لمخدوميك ، ينتقلون من السمع إلى الرؤية إلى المذاقة .

النمو فى الخدمة (٢)

النمو فى الخدمة له مجالات متعددة جداً ، وخصائص يمكن أن نعرض لها ، ونلخصها فى بعض نقاط :

مجالات النمو :

١ – نمو فى عدد التلاميذ والفصول ، وقد تحدثنا قبلاً عن النمو العددى .

٢ – نمو فى الإفتقاد ، بحيث يشمل كل أحد . ويتدرج من افتقاد الغائبين ، إلى افتقاد حالات المخدومين فى احتياجاتهم المادية والروحية . ومن افتقاد الطلبة فى مدارس الأحد، إلى تحويل عائلاتهم إلى أن يفتقدهم الأب الكاهن .

٣ – نمو فى تنظيم الخدمة. ويمكن فى ذلك استخدام الكومبيوتر

٤ – **نمو فى إنتشار الخدمة بحيث تشمل القرى ، والأحياء الفقيرة والمساكن العشوائية** . ذلك لأن كثيراً من الفروع تهتم بالعواصم والمدن، ولا تعطى نفس الإهتمام للريف وللمجتمعات الجديدة ولأحياء أخرى مهملة . أو قد تهتم بمنطقة الكنيسة، دون

المناطق الأخرى المجاورة ...

٥ - النمو فى خدمة كل النوعيات :

فلا تكتفي مدارس التربية الكنسية بخدمة طلبة المدارس ، إنما ينبغى أن تتدرج الخدمة حتى تشمل طبقات من العمال والصناع، وتوجد برامج خاصة بهم . وكذلك خدمة الأميين والذين لم يكملوا تعليمهم . مع خدمة البعيدين تماماً عن الكنيسة ، والذين ليس لهم أحد يذكرهم .

٦ - النمو فى استخدام وسائل الإيضاح :

ونقصد كل ما يمكن استخدامه من الوسائل السمعية والبصرية... فنحن لا ننكر أهمية المسرحيات والأفلام الدينية ، ومدى تأثيرها على الشباب بل وعلى الكبار أيضاً . وقد بدأت هذه الحركة الفنية ، وصدرت بعض أفلام عن حياة قديسين وقديسات . ولكن الأمر يحتاج إلي اهتمام أكبر . ويمكن تصوير كل المسرحيات الدينية الناجحة التى تقوم بها بعض الفروع، ثم نشرها وتعميم استخدامها . ثم نشر فكرة هذه المسارح في كافة الإيبارشيات . وضم هذه الوسائل التعليمية في خدمة القرى والأحياء الفقيرة . ويستحسن تكوين لجنة خاصة بهذا النشاط .

٧ - النمو فى الإهتمام بالمكتبات :

لقد تأسست مكتبات للخدمة فى كافة الكنائس تقريباً . ولكن غالبيتها خاص بالكبار فقط . ويجب أن تنمو هذه المكتبات لنشر المعرفة الدينية لكل من مراحل السن، وبخاصة مرحلة الطفولة التى تحتاج إلى مكتبة خاصة فى كل كنيسة .

وأتذكر أننى فى سنة ١٩٥٣ كنت قد أصدرت مجلة للأطفال باسم (مجلة مدارس الأحد المصورة) . ثم ترهبنت فى العام التالى. وإذا بتلك المجلة قد تحولت إلى مجلة للكبار . وتوقف ذلك العمل التربوى الهام. وأرجو بنعمة الله أن أعيده للصدور مرة أخرى بالإستعانة بعدد كبير من المهتمين بالكتابة للأطفال ، وبتأليف القصص والأناشيد لهم .

هذا وقد افتتحنا مكتبة للأطفال فى المقر البابوى بالقاهرة، أحب أن يكون لها مثيل فى كل إيبارشية . لأن مرحلة الطفولة هى المرحلة التأسيسية فى حياة كل إنسان، ويجب أن نهتم جميعاً بها ..

٨ – النمو فى العناية بالخدام أنفسهم وبفصول إعداد الخدام .

إنه أمر خطير ، أن يبدأ الخدام عملهم فى الخدمة بدون إعداد كافٍ . ويحتاج الأمر إلى أن تنمو الكنيسة فى إعداد خدامها، بحيث يكون إعداد الخدام شاملاً إلى نواحٍ إيجابية تختص بالعقيدة والكتاب والطقس والروحانية والمعلومات التربوية . وكذلك الرد على

السلبيات التي توجه إلي هذا كله، بحيث يعرف الخادم الرد على كل شك وكل بدعة ...

وحتي الخدام الذين يخدمون حالياً يحتاجون إلى تنشيط معلوماتهم بمناهج تسمي Refreshing Courses . مع مناهج أخرى أعلي Advancing Courses وتستمر هذه المناهج ، بحيث لا يفقد الخادم روح التلمذة عنده .

٩ – كذلك ينبغى أن يدرك النمو اجتماعات الخدام .

إذ أن بعض الفروع تجعل اجتماعات الخدام بهدف تعليمات للخدام عن أنشطة معينة ، أو أخبار رحلات أو حفلات وما أشبه. أو تصبح اجتماعات الخدام مجالاً للحوار والنقاش الذى لا يفيد بل قد يعثر .

يجب أن تنمو هذه الإجتماعات فى الروح وفى المعرفة ، بحيث تفيد كل خادم ، القديم والجديد ، وتكون منشطة لهم روحياً وعملياً .

هذا وقد أصدرنا لكم حتى الآن ستة كتب فى الخدمة. وأرجو أن أتابع الكتب الخاصة بالخدمة .

١٠ – النمو فى العناية بالشباب .

لأن ظاهرة واضحة توجد فى كثير من الفروع . وهى أن عدد الطلبة الذى يكون كبيراً بشكل واضح فى فصول المرحلة الإبتدائية، يظل يتناقص بالتدريج فى المرحلتين الإعدادية والثانوية.

ويصبح قليلاً جداً بالنسبة إلى شباب ثانوى وشباب الجامعـة . وهذا أمر له خطورته ، ويحتاج بلاشك إلى علاج ...

وربما من الأسباب ، ضعف المعلومات التى تقدم لتلك المرحلة، أو إلى عدم كفاية المدرسين الذين يشبعون تلك السن ...

ولقد أصدرت اللجنة العليا للتربية الكنسية منهجاً مناسباً للمرحلة الثانويـة، وزودتـه بـالكتب المنهجية لمنفعـة المـدرس مـن جهـة، ولتوحيد الفكر التعليمى من جهة أخرى . وبقى موضوع المدرسـين والمتكلمين .

١١ - النمو فى الإهتمام بإعداد المتكلمين .

كلما ينمو الإنسان فى السن والمعرفة ، يحتاج إلى مستوى من التدريس أعلى وأعمق ، يمكنه أن يعطيه ما ليس عنده، وما يحتاج إليه من معرفة . ومن هنا كنا نحتاج إلى مستوى عالٍ من المتكلمين لإجتماعـات الأسـرات الجامعيـة ، ولفصـول ثـانوى وجامعـة فـى مدارس الأحد .

ولإعداد هؤلاء أهتممنـا بالقسـم الليلـى الجـامعى فـى الكليـة الإكليريكيـة وقـد إزداد عددهـم جـداً، فوصلـوا الـى المئـات فـى الإكليريكية الأم بالقاهرة، بالإضـافة الـى مئـات أخرى فى فروعها بالوجهين القبلى والبحرى. بالإضافة الى ماتقوم بـه أسقفية الشباب بمؤتمراتها وخدامها وأنشطتها.

والأمر يحتاج الى مزيد من الإهتمام بموضوع المتكلمين وإعدادهم . ويجب على المتكلمين المعروفين أن يزدادوا فى معرفتهم . وكذلك أن يكون عندهم الإلتزام الكافى فى الحضور وعدم التغيب ، وفى إعداد موضوعاتهم .

ومن أجل الإهتمام بالمتكلمين ، والنمو بالمعرفة عموماً ، قمنا بمشروع جديد :

١٢ – مشروع الميكروفيلم والميكروفيش :

أنشأنا هذا المشروع بنعمة الله الذى كلّفنا حتى الآن أزيد من نصف مليون جنية . ومن فوائده فى الخدمة أنه يمكننا به أن ننتج كميات من الميكروفيليم والميكروفيش لجميع مخطوطاتنا فى الأديرة، وفى الكنائس القديمة ، وفى مكتبة البطريركية ، وغير ذلك... ولكى نزوّد بنسخ منها مكتبات أديرتنا، ومعاهدنا الدينية ، وكنائس المهجر ، وبعض الكنائس الكبيرة، ومكتبات المطرانيات فى كل إيبارشية .

وبهذا تصبح المراجع موجودة ومتوفرة لدى كل دارس ، بهدف نمو معرفته وتعمقها ، مع نشر المعرفة القبطية فى كل كنائسنا بالمهجر ولاشك أن هذا نمو جديد فى نشر المعرفة الدينية .

كما أننا بهذا ، يمكننا تبادل الميكروفيلم والميكروفيش مع

مكتبات العالم وجامعاته التى تحتفظ هى أيضاً بعدد كبير من مخطوطاتنا القبطية .

١٣ - النمو فى أنشطة الخدمة :

توجد فروع للخدمة تقتصر على التدريس فقط . وفروع أخرى لها أنشطة كثيرة . وهدف النمو فى الخدمة هو نشر أنشطتها فى كل مكان .

وقد توجد فروع لها الروح والرغبة ، وليست لها الإمكانيات التى تساعدها على تنشيط الخدمة . وهذا الأمر يحتاج إلى افتقاد الفروع ، وإلى معرفة احتياجاتها ، وتوفير هذه الإحتياجات لها . وبنعمة الله سوف أعمل على تكوين لجنة من الخدام المعروفين لافتقاد فروع الخدمة ، مع تحديد موعد شهرى للإلتقاء بالخدام فى المقر البابوى لأدرس معهم شئون الخدمة واحتياجاتها ، والعمل على نموها ونهوضها .

١٤ - البحث عن المفقودين :

سواء من المخدومين أو الخدام ، والبحث عن أسباب فقدهم ، وعمل كل ما يمكن من أجلهم .

١٥ - النمو فى روحيات الخدام :

ذلك لأنه كلما نما الخادم روحياً ، على هذا القدر تنمو أيضاً

روحيات المخدومين معه . وكلما هبط مستواه ، يحدرهم معه إلى أسفل .

هذا الأمر يعالجه الخادم مع نفسه ومع أب اعترافه . كما أن كل فرع خدمة ينبغي أيضاً أن يراعى روحيات خدامه . فللخادم شروط روحية يجب أن يتصف بها كل خادم . وعلى الكنيسة أن تراقب هذا الأمر .

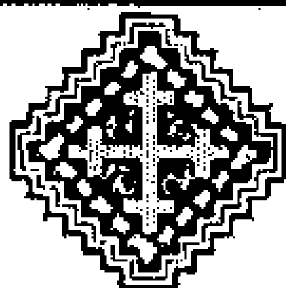
وعلى كل خادم وكل فرع ، أن يقوم بتقييم خدمته Evaluation ويدرس عوامل الضعف ، أو مظاهره ، لكى يتفاداها فتنمو خدمته .

١٦ - النمو فى التكريس :

التكريس هو مقياس آخر من مقاييس النمو فى الخدمة . وكلما دخل الإنسان فى مجال محبة الله وخدمته ، كلما إزدادت رغبته فى توفير وقت أزيد للخدمة . وإذا ما نما فى ذلك ، كلما إتجه إلى تقديم وقته كله للرب . وهكذا يدخل فى نطاق التكريس . سواء كخادم أو كاهن أو راهب ...

ومع حاجة الكنائس إلى عدد كبير من الكهنة يسامون لخدمتها ، نلاحظ أن بعض فروع الخدمة لا يوجد فيها من يصلح لتقديمه لخدمة الكهنوت ! وهذا أمر يؤسف له جداً ، لأنه يدل على أن النمو قد توقف فيها عند حدّ مدرسى الفصول ... !!

هذه الفروع بالذات تحتاج إلى عناية خاصة ، وإلى تقييم خدمتها ومعرفة أسباب توقف نموها ، وعلاج ذلك .



كتب سبق صدورها عن الخدمة

١ - التلمذة .

٢ - الغيرة المقدسة .

٣ - كيف نعامل الأطفال ؟

٤ - آيات للحفظ (بالأبجدية) .

٥ - مسابقات في الكتاب المقدس .

٦ - الخدمة الروحية والخادم الروحي ج ١ .



الباب الرابع

التعب في الخدمة



كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه (١كو٣: ٨)

ولسنا نقصد هنا تعب العالم الباطل، بل التعب لأجل الملكوت .

أما تعب العالم الباطل، فهو يشبه تعب سليمان فى أمور الرفاهية والغنى، ، حيث قال بعد ذلك " ثم التفت أنا إلى كل أعمالى التى عملتها يداى، وإلى التعب الذى تعبته فى عمله ، فإذا الكل باطل وقبض الريح، ولامنفعة تحت الشمس" (جا٢: ١١). أما التعب الذى تتعبه لأجل الله، فهو تعبك من أجل خلاص نفسك، ومن أجل بناء الملكوت. وسوف نركز الآن على هذا التعب فى الخدمة .

إن كل تعب تتعبه من أجل الله ، هو محفوظ لك فى ملكوته .

بقدر ما تتعب هنا ، ترتاح فى الأبدية . وبقدر ما تحتمل هنا سوف تتنعم هناك. وكما قال أيوب الصديق " هناك يستريح المتعبون " (أى٣: ١٧). وبحسب تعبك لأجل الله: على الأرض يحسن مستواك الروحى، وفى الأبدية يحسن مصيرك . وهؤلاء الذين تعبوا فى بناء ملكوته " يستريحون من أتعابهم ، وأعمالهم

تتبعهم " (رؤ ١٤: ١٣) .

وما أجمل قول القديس بولس الرسول عن التعب فى الخدمة :

" إذن ياأخوتى الأحباء ، كونوا راسخين غير متزعزعين ، مكثرين فى عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب" (١كو١٥: ٥٨) :

ذلك " لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة الذى أظهرتموها نحو إسمه، إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم " (عب٦: ١٠) . نعم ، هؤلاء سوف يستقبلهم الرب بعبارته المعزية " تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال، وأنا أريحكم " (مت١١: ٢٨) . أريحكم ليس على الأرض فقط، بل فى السماء أيضاً . على الأرض ترتاح ضمائركم وقلوبكم . وفى السماء ترتاح أرواحكم ..

قال بولس الرسول عن عمله فى الخدمة " أنا غرست، وأبولس سقى .. والغارس والساقى هما واحد . ولكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه " (١كو٣: ٦، ٨) .

إن الأنصبة فى الملكوت ليست واحدة .

فكما يقول الرسول "لأن نجماً يمتاز عن نجم فى المجد" (١كو١٥: ٤١) ومادام الله سوف " يجازى كل واحد بحسب عمله " (مت١٦: ٢٧).. إذن عليك أن تبذل كل جهدك فى خدمة الله،

وأنت هنا على الأرض ، عالماً أن الله يرقب عملك ، ويحسب لك كل تعبك . كما قال لملاك كنيسة أفسس " أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك... وقد إحتملت ولك صبر ، وتعبت من أجل إسمى ولم تكل " (رؤ٢: ٢، ٣) .

إن تعبك يدل على مقدار محبتك لله وملكوته .

فالذى يحب الله ، لا يسمح أن يعطى لنفسه راحة ، بل يجاهد حتى يوصل كل إنسان إلى قلب الله . كما قيل عن داود النبى ونذره لإله يعقوب " إني لا أدخل إلى مسكن بيتى، ولا أصعد على سرير فراشي، ولا اعطى لعينى نوماً، ولا لأجفانى نعاساً ... إلى أن أجد موضعاً للرب ، ومسكناً لإله يعقوب " (مز١٣٢: ٢- ٥) . فاسأل نفسك : ما هو مقدار تعبك من أجل الرب ؟

هوذا بولس الرسول الذى تعب أكثر من جميع الرسل (١كو١٥: ١٠) ، يشرح لنا بعضاً من أتعابه فى الخدمة ، فيقول:

"... فى الأتعاب أكثر ، فى الضربات أوفر ، في السجون أكثر، فى الميتات مراراً كثيرة . من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة. ثلاث مرات ضربت بالعصى . مرة رجمت ... بأسفار مراراً كثيرة ، بأخطار سيول ، بأخطار لصوص ، بأخطار من جنسى ... بأخطار من الأمم ، بأخطار فى المدينة ، بأخطار

في البرية ، بأخطار في البحر ، بأخطار من أخوة كذبة . في تعب وكد، في أسهار مراراً كثيرة . في جوع وعطش ... في برد وعرى . عدا ما هو دون ذلك: التراكم علىّ كل يوم ، الإهتمام بجميع الكنائس ... " (٢كو١١: ٢٣– ٢٨) .

وأنت يا أخي ، ما هو تعبك في الخدمة ، إذا قورن بكل هذا ؟

أعرف أن كل ما تتعبه في خدمة ، مسجل لك في سفر الحياة .

حينما تفتح الأسفار في يوم الدينونة ، وحينما تُكشف كل الأعمال، ستجد كل ما عملته مسجلاً لك ... حتى كأس الماء البارد الذي تقدمه لأجل الله ، هذا أيضاً لا يضيع أجره (مت١٠: ٤٢) . كل خطوة تخطوها إلى الكنيسة ، أو في إفتقاد إنسان، هذه أيضاً محسوبة لك ، تنال أجرها في الملكوت ... كل حبة عرق تسكبها ، كل كلمة تعزية تقولها ... كل ذلك مسجل لك في سفر الحياة .

لا تقل أنا تعبان في الخدمة ، ولا يشعر بي أحد !

كلا ، فإن الله يقول لك تلك العبارة التي كررها لكل ملاك من ملائكة الكنائس السبع : "أنا عارف أعمالك " (رؤ٢، ٣). حتى إن لم تجد تقديراً على الأرض ، ستجد كل التقدير في السماء . والأعمال المخفاة سوف تظهر ، وتنال عليها أجراً أكبر ... بل صدقني ، حتى أتعابك التي قد نسيتها أنت، هي محفوظة عند الله .

إنه يذكرها لك ، لن ينساها . وسوف يقول لك فى ذلك اليوم ، مع كل أخوتك الذين تعبوا مثلك وخدموا :

" تعالوا يا مباركى الرب . رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم " (مت٢٥: ٣٤) .

إن الله لا يمكن أن ينسى تعبك وخدمتك . بل أقول إنه حتى الرسل لم ينسوا أبداً الذين تعبوا معهم فى الخدمة . هوذا بولس الرسول يقول فى رسالته لأهل رومه " سلموا على مريم التى تعبت لأجلنا كثيراً ... سلموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين فى الرب . سلموا على برسيس المحبوبة التى تعبت كثيراً فى الرب " (رو١٦: ٦، ١٢) . وعندما أرسل إلى تلميذه تيموثاوس ، أوصاه أن يقيم اعتباراً حسناً ، فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة ، ولاسيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم " (١تى٥: ١٧) .

فإن كان الرسول يذكر الذين تعبوا ، فكم بالأكثر يذكرهم الله .

لذلك لا تفكر أبداً أن تعطى نفسك راحة فى خدمتك . بل اتعب فى تحضير الدروس وفى الإطلاع ، واتعب فى الإفتقاد وفى حل مشاكل الناس . واصبر فى إحتمال المقاومات التى تصادفك فى الخدمة ، ولا تترك خدمتك بسببها . اتعب فى إعادة الشاردين من الله الرافضين التوبة ، وكما قال الرسول " خلصوا البعض

بالخوف، مختطفين من النار " (يه ٢٣) . واذكر قول الكتاب :

" من رد خاطئاً عن ضلال طريقه ، يخلص نفساً من الموت ، ويستر كثرة من الخطايا " (يع٥: ٢٠) .

حقاً إن النفس الثمينة التى مات المسيح لأجلها ، تستحق منك أن تبذل كل تعب فى سبيل خلاصها . لذلك جاهد ولا تيأس ، حتى إن تأخر ثمر تعبك فى الظهور . استمر . لا تترك غيرك يتعب ، وأن تدخل على تعبه (يو٤: ٣٨) . بل اشترك فى التعب ، أياً كان الجهد الذى تبذله .

ولا تقف لتتفرج على الذين يتعبون . فملكوت الله ليس للمتفرجين .

إنما الملكوت للذين يتعبون فى بنائه . تأمل كيف تعب القديس أثناسيوس الرسولى فى حفظ الإيمان وفى مقاومة الأريوسيين ، حتى أنه نفى عن كرسيه أربع مرات . وتأمل كيف تعب بولس الرسول ، واستطاع أن يقول أخيراً :

" جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعى ، حفظت الإيمان . وأخيراً قد وُضع لى إكليل البر .." (٢تى٤: ٧) .. تأمل أيضاً كيف تعب نحميا كثيراً لكى يبنى سور أورشليم . وكيف لاقى مقاومات ، وصبر عليها حتى أكمل عمله ...

واعلم أنك فى خدمتك ، سيشترك الله معك . ولن يتركك تتعب وحدك .

ونحن نصلى فى الكنيسة ونقول للرب " اشترك فى العمل مع عبيدك " . والقديس بولس الرسول يقول عن نفسه وعن أبولس "نحن عاملان مع الله" (١كو٣: ٩) ... إن الله باستمرار يعين خدامه فى خدمتهم : يعمل معهم ، ويعمل فيهم ، ويعمل بهم . لذلك فى خدمتك ، حاول أن تكون مجرد آلة فى يد الله يعمل بها . وصلّ فى قلبك هذا المزمور :

" إن لم يبن الرب البيت ، فباطلاً تعب البناءون" (مز١٢٧: ١).

لذلك فالخدمة تحتاج أيضاً إلى تعب فى الصلاة لأجلها ، لكى يتولاها الله بعنايته ، ولكى تشعر بيد الله فيها . لأنك ربما تفكر أن التعب فى الخدمة ، هو مجرد تعب ذراعك البشرى . كلا. فقد قال الرب " بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً " (يو١٥: ٥) . لذلك جاهد فى أن تشرك الله معك فى الخدمة ، بصلوات ، بأصوام ، بمطانيات ، بصراع مع الله ...

وحذار من أن تبحث عن الخدمات السهلة ، أو تدخل إلى الخدمة من الباب الواسع !

ذلك لأن كثيرين من الذين لا يحبون التعب فى الخدمة ،

يهربون من الخدمات التى تحتاج إلى جهد كبير ، أو التى تصادفها بعض المشاكل ! ولا يقبلون إلا الخدمة السهلة . وقد يبررون الأمر ببعض كلمات تواضع ! كأن يقول الشخص " أنا أصغر من هذا الأمر . أنا لم أصل إلى مستوى هذه الخدمة . أنا ليست لى مواهب "... والرب يرفض كل هذه الإعتذارات . وقال لأرميا " لا تقل إنى ولد. لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب ، وتتكلم بكل ما آمرك به " (أر ١: ٧) .

الخدمة الصعبة تظهر فيها يد الله ، كما يظهر فيها بذل الإنسان وتعبه .

كما تظهر فيها محبته للملكوت ، ومحبته لخلاص الناس ، وعدم إهتمامه بنفسه وبراحته ، واستعداده لحمل الصليب فى الخدمة ، وعدم تذمره على الضيقات فى الخدمة ... ومثل هذه الخدمة لها أجر كبير . وهى التى دعا إليها الرب تلاميذه ، حينما قال لهم " ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب " (مت١٠: ١٦) ... ولم يهرب تلاميذ الرب من خدمه كهذه :

نعم ، خير لنا أن نتعب لكى يستريح الناس .

لا أن نستريح نحن ، ونتركهم يتعبون ...



الباب الخامس

مسيحى لا يشبه المساكين



مسحنى لأبشر المساكين

(أش ٦١: ١)

قيل عنه فى تلك النبوءة "روح السيد الرب علىّ . لأن الرب مسحنى لأبشر المساكين . أرسلنى لأعصب منكسرى القلوب . لأنادى للمسبيين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق ..." (أش ٦١: ١) .

ولعلنا نسأل : من هم أولئك المساكين الذين قد جاء الرب ليبشرهم ؟ إنهم كثيرون ...

فى مقدمتهم تلك البشرية المسكينة كلها ، المحكوم عليها بالموت بسبب الخطية، وتحتاج إلى الفداء .

ولذلك قيل عن الرب إنه " جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك " (لو ١٩: ١٠). جاء يبشر كل هؤلاء بالفداء الذى سيقدمه عنهم ، "لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية " (يو ٣: ١٦) . وهكذا وقف الملاك فى يوم ميلاد الرب يبشر الرعاة قائلاً "ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. إنه ولد لكم اليوم

مخلص هو المسيح الرب " (لو٢: ١٠، ١١) .

جاء السيد المسيح أيضاً لكى يبشر بالخلاص أبرار العهد القديم الذين رقدوا على الرجاء .

أولئك الذين قيل عنهم إنهم " لم ينالوا المواعيد ، بل من بعيد نظروها وصدقوها وأقروا أنهم غرباء ونزلاء على الأرض" (عب١١: ١٣) .

جاء يبشرهم أن باب الفردوس الذى أغلق منذ خطيئة آدم ، سوف يفتح بعد الصليب، وسيدخل كل أولئك الأبرار فى الفردوس.. وسوف يدخل معهم أيضاً اللص اليمين (لو٢٣: ٤٣) .

جاء يبشر البشرية التى أضلها القادة العميان من الكتبة والفريسيين (مت٢٣) بقدوم التعليم السليم.

فسوف يخرجهم من الحرفية التى نادى بها أولئك الذين جلسوا على كرسى موسى، فأغلقوا باب الملكوت . لا هم دخلوا، ولا جعلوا الداخلين يدخلون (مت٢٣: ١٣) .

وهكذا جلس المعلم الصالح على الجبل ، وقال للجموع عظته العجيبة التى كرر فيها عبارة " سمعتم إنه قيل للقدماء ... أما أنا فأقول لكم .. " (مت٥) .

جاء أيضاً يبشر البشرية التى فقدت الصورة الإلهية التى خلقت

بها (تك١: ٢٧) بأن أعاد لهم تلك الصورة ليحاكوها .

وهكذا ترك لهم مثالاً فى كل فضيلة وفى كل بر ، حتى كما فعل هو يفعلون هم أيضاً (يو١٣: ١٥) . وهكذا نصح القديس يوحنا الرسول قائلاً " من قال إنه ثابت فيه ، ينبغى أنه كما سلك ذاك، يسلك هو أيضاً " (١يو٢: ٦) .

جاء الرب يبشر المساكين . وكان من قبل ، حتى فى العهد القديم ، يهتم بالمساكين .

وهكذا قال الرب لموسى حينما دعاه إلى الخدمة " إنى قد رأيت مذلة شعبى ... وسمعت صراخهم بسبب مسخريهم . إنى علمت أوجاعهم ، فنزلت لأنقذهم " (خر٣: ٧، ٨) . وهكذا فعل الرب أيضاً فى عصر القضاة ... فأقام لهم القضاة .. وخلصهم من أيدى أعدائهم .. من أجل أنينهم بسبب مضايقيهم وزاحميهم " (قض٢: ١٨) . إنه الرب الذى باستمرار يعين المساكين ..

وهكذا أيضاً وقف الرب مع يعقوب فى مسكنته ضد أخيه عيسو المتجبر .

عيسو الذى قال " أقوم وأقتل يعقوب أخى " (تك٢٧: ٤١) . ولكن الله ظهر ليعقوب أثناء هروبه وعزاه برؤيا السلم الواصل بين السماء والأرض . وقال له " ها أنا معك ، واحفظك حيثما

تذهب ، وأردك إلى هذه الأرض " (تك٢٨: ١٥) .

وكما وقف اللـه إلـى جوار المسـاكين ، وقـف أيضـاً ضـد العتـاة القساة . وقال لقـايين أول قـاتل من بنـى البشـر " صـوت دم أخيـك صارخ إلىّ من الأرض .. " (تك٤: ١٠) .

وفى كل هذا ما أجمل قول الكتاب :

" يقـاوم اللـه المسـتكبرين . أمـا المتواضعون فيعطيهـم نعمـة " (**يع**٤: ٦) .

وقف الله مع إيليا النبى ، لما كان فى موقف المسكنة ، هارباً من بطـش الملكـة إيزابـل ، وهـو يقـول لـلرب " ... تركـوا عهـدك ، ونقضوا مذابحك ، وقتلوا أنبياءك بالسيف . وبقيت أنا وحدى . وهم يطلبون نفسى ليأخذوها " (١مل١٩: ١٤) .

ووقف الرب مع داود الشاب في مسكنته، وهو هارب من شـاول الملك الذى يطارده من مكان إلى آخ. ولكنه وقف ضـد داود الملـك لما تسلط وتقسى قلبـه علـى أوريـا الحثـى، فعاقبـه (٢صـم١٢: ٩-١٢)

ووقـف الله مع ليئـة الضعيفـة العينيـن التـى تفتقـد محبـة زوجهـا، وأعطاها نسلاً أكثر من راحيل المحبوبـة المدللـة، لأن الـرب يبشـر المساكين ...

ووقف الله مع الأمم المحتقرين من إسرائيل .

الذين كانوا " بدون مسيح ، أجنبيين عن رعوية إسرائيل ، وغرباء عن عهود الموعد" (أف٢: ١٢) . فقربهم إليهم ، وطعّمهم في الزيتونة الأصلية (رو١١) وقال " يأتون من المشارق والمغارب، ويتكئون في أحضان إبراهيم ، بينما بنو الملكوت يطرحون في الظلمة الخارجية " .

ومدح الرب قائد المائة الأممي ، وقال : لم أجد في إسرائيل كلها إيماناً مثل إيمان هذا الرجل " . ومدح أيضاً المرأة الكنعانية المتذللة قدامه ...

وبشر الرب الخطاة المساكين ، المذلين في توبتهم ، وأدان الأبرار المتعجرفين في برّهم .

فعل ذلك في مثل الفريسي والعشار . لم ينظر إلى الفريسي المتكبر ، الذي وقف يصلي بانتفاخ قلب ويقول " اشكرك يارب إني لست مثل سائر الناس الظالمين الخاطفين الزناة، ولا مثل هذا العشار . أنا أصوم يومين في الأسبوع، وأعشّر جميع أموالي. بينما نظر الرب إلى العشار المسكين الذي في مذلة لم يستطع أن يرفع نظره إلى فوق، بل قرع صدره في إنسحاق وهو يقول " ارحمني يارب، فإني خاطئ" . فخرج مبرراً دون ذاك (لو١٨: ٩- ١٤) .

كذلك فعل الرب مع الخاطئة التى بللت قدميه بدموعها ، وفضلها على الفريسى الذى أدانها (لو ٧) .

لقد بشر هذه المسكينة بالمغفرة، وقال لها "مغفورة لك خطاياك.. اذهبى بسلام " .

ونفس الوضع فعله مع مسكينة أخرى ضبطت فى ذات الفعل ، وأذلها القساة طالبين أن تُرجم حسب الشريعة . ولكن الرب خلصها من بين أيديهم ، وطلب منهم أن يلتفتوا إلى خطاياهم ، قائلاً لهم "من كان منكم بلا خطية، فليرجمها بأول حجر " (يو٨: ٧) . وقال للمسكينة " ولا أنا أدينك . اذهبى ولا تخطئى أيضاً " .

وقال الرب عن الخطاة " ما جئت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة .

وبشر كل أولئك بالخلاص عن طريق التوبة . وقال إنه يكون فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب، أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة " (لو١٥: ٧) . وضرب فى نفس الإصحاح ثلاثة أمثال لقبول التائبين ، وفرح الرب بعودتهم إليه. هى مثل الإبن الضال ، ومثل الخروف الضال، ومثل الدرهم المفقود. وما أجمل حنوه فى الشفقة على أولئك الخطاة المساكين فى عودتهم ، حينما قال عن الخروف الضال : " وإذ وجده، حمله على منكبيه

فرحاً " (لو١٥: ٥) .

ومن المساكين الذى جاء الرب يبشرهم ، المرضى والمصروعين من الشياطين .

وقد قيل عنه فى ذلك إنه " كان يشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب .. فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة ، والمجانين والمصروعين والمفلوجين ، فشفاهم " (مت٤: ٢٣، ٢٤) .

هكذا كان اشفاقه على المساكين من المرضى ، وبخاصة الأمراض المستعصية التى يعجز أمامها الأطباء، أو التى تطول مدتهامثل مريض بيت حسدا الذى قضى فى مرضه ٣٨ سنة، وهو مسكين ليس له إنسان يلقيه فى البركة (يو٥: ٢ - ٩) . فتقدم الرب وشفاه .

إن هذا يعطينا درساً فى الإشفاق على المرضى .

إن كنا لا نستطيع أن نشفيهم ، أونساهم فى علاجهم ، فعلى الأقل نزورهم حسب وصية الرب (مت٢٥: ٣٦)، ونقدم لهم كلمة عزاء، ونرفع من معنوياتهم ، ولا ننساهم فى آلامهم .

ومثل ذلك مرضى الروح أيضاً ، الذين ينسوا من خلاصهم ...

هم يحتاجون إلى من يبشرهم بالخلاص ، إلى من يقول لهم ما

قاله الرب لزكا العشار " اليوم حصل خلاص لأهل هـذا البيـت ، إذ هو أيضاً إبن لإبراهيم " (لو١٩: ٩).

انظروا عمل الرب بعد القيامـة : جـاء يبشـر بطـرس الـذى بكـى بكاءً مراً بسـبب إنكـاره للمسيح وقت صلبـه (مت٢٦: ٧٥) فجـاء يبشـره فـى مسكنته ومذلـة نفسـه، ويقـول لـه " أرع غنمـي. أرعَ خرافى" (يو٢١: ١٥، ١٦) . كما جاء يفتقد توما فى شـكوكه ويعيـد إليه الإيمان (يو٢٠: ٢٧) .

ما أجمل عبارته فى تبشيره للمساكين :

" من يقبل إلىّ ، لا أخرجه خارجاً " .

هو جـاء أيضاً يبشر المساكين من المحتاجين . ويقول لهم "اطلبوا تجدوا، اسألوا تعطوا، اقرعوا يفتح لكم" (مت٧: ٧) . ويعطينا بذلـك مثالاً أن نعطى للمحتاجين ما يعوزهم ، عـالمين أننـا فـى ذلـك إنمـا نعطى الرب نفسه الذى قـال: " مهمـا فعلتمـوه بـأحد أخوتـى هـؤلاء الأصاغر، فبى قد فعلتم" (مت٢٥: ٤٠) . جميل أن نذكر هذا الأمر فى مناسبة العيد، ونبشر المساكين وجميل أن نتذكر قول الـرب فـى تبشيره للمساكين :

تعالوا إلىّ يا جميع المتعبيـن والثقيلـى الأحمـال، وأنـا أريحكـم " (مت١١: ٢٨) .

ليتنا نفعل مثله أيضاً ، ونعمل بكل جهدنا على إراحة المتعبين والثقيلي الأحمال . وفي نفس الوقت نحترس من أن نزيد ثقلاً على أحد، أو ننتقد إنساناً في تعبه .

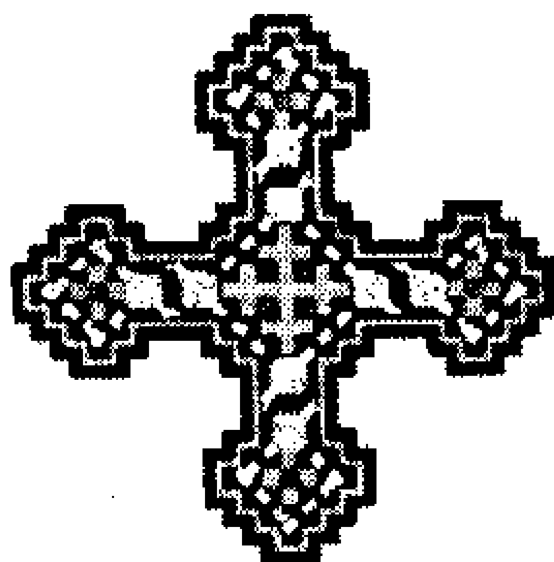
وكذلك نشفق على اليائسين الذين انقطع رجاؤهم . وقيل لهم خلاص بإلههم (مز ٣٠) ...

هؤلاء يقول لهم الرب لا تخافوا ، ويقف إلى جوارهم . ويقول لكل منهم " أنا معك . لا يقع بك أحد ليؤذيك " (أع١٨: ١٠) .

وبالنسبة إلى كل هؤلاء ، يوصينا الرسول قائلاً :

" **شجعوا صغار النفوس . اسندوا الضعفاء تأنوا على الجميع** " (١تس٥: ١٤) .

فليكن الرب مع كل هؤلاء ، يقويهم ، ويقودهم في موكب نصرته، ويبشرهم بالخلاص ، له المجد من الآن وإلى الأبد آمين .



الباب السادس



خدمة الذين ليس لهم أحد يذكرهم



الذين ليس لهم أحد يذكرهم

فى صلاة تحليل نصف الليل للآباء الكهنة طلبة عميقة جداً ومؤثرة فى معناها وهى :

"اذكر يارب العاجزين والمنقطعين والذين ليس لهم أحد يذكرهم"

نعم ، هؤلاء الذين لم يجدوا أحداً يهتم بهم ، ولا حتى يذكرهم فى صلاته هؤلاء الذين أهملهم الكل ، وربما قد نسوهم أيضاً .

لاشك ، أنه يوجد أشخاص لا يحس أحد بآلامهم ، ولا باحتياجاتهم، ولا بضياعهم . كأنهم ليسوا أعضاء فى جسد الكنيسة.

ولعله تنطبق عليهم تلك الأبيات التى وردت فى قصيدة " النجم " :

أنا ملقى فى ضلالى ليس من
أسقف يرعى ولا من مفتقد
فطريقى فى ظلام دامس
قد ضللت الله دهراً لم أجد
ذلك الهادى الذى يهدى يدى

يذكرنا بهذا النوع أيضاً مريض بيت حسدا الذى قضى فى

مرضه ٣٨ سنة دون معونة من أحد. قال للسيد المسيح عن حالته "ليس لى إنسان يلقينى فى البركة " (يو ٥: ٧) .

إنها خدمة جميلة أن نخدم تلك النفوس المسكينة المحتاجة ، التى لا تجد من يهتم بها ويفتقدها .

الأحياء غير المخدومة :

هناك أحياء توجد فيها كنائس تخدمها ، ويوجد فيها آباء كهنة روحيون ونشطاء يقومون بإفتقاد كل بيت، وكل أسرة وكل فرد . ويعرفون كيف يوفرون الخدمة اللازمة لكل أحد، يحلون الإشكالات، ويتلقون الإعترافات، ويحيطون أبناءهم بجو روحى .. إنها أحياء مخدومة .

ولكن ماذا نقول عن الأحياء والمدن والقرى غير المخدومة ، التى لا تجد أحداً يذكرها ؟! .

وماذا نقول عن الخدام الذين يفضلون أن يرسموا كهنة على المدن الكبيرة والأحياء المخدومة ، ويرفضون القرى والأحياء المحتاجة إلى خدمة ؟!

هل هذا هو أسلوب السيد المسيح ، الذى كان يترك التسعة والتسعين، ويبحث عن الواحد الضال المحتاج إلى خدمة ؟! نعم إنه

الراعى الصالح ، الذى كان " يطوف المدن والقرى كلها، يعلم فى مجامعها ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب" (مت٩: ٣٥) .

نعم إنه المعلم الصالح الذى قال لتلاميذه :

" لنذهب إلى القرى المجاورة لأكرز هناك ، لأنى لهذا خرجت" (مر١: ٢٨) .

إن الذى يفضل بهرجة المدينة على حاجة القرية ، إنما هو يفكر فى ذاته، بطريقة علمانية، ولا يفكر فى إحتياج الآخرين وخدمتهم !

ونفس هذا الكلام نقوله عن :

خدمة أولاد الشوارع :

اذكر أن هذا الأمر قد هز عاطفتى جداً فى الأربعينات ، وأنا خادم .. وقلت فى ذلك الوقت لزملائى : إننا نخدم الأطفال الذين فى المدارس، والذين يلبسون ملابس نظيفة ، وننسى خدمة الأولاد "الغلابة" . وأتذكر إننى وقتذاك جمعت لنفسى فصلاً جديداً لخدمته..

وكان فصلى هذا من أولاد الشوارع ، ومن بائعى الليمون، وماسحى الأحذية، وأطفال آخرين يقفزون على الشمال فى الترام، وأحياناً يقذفون الجمعية بالطوب .

واهتممت بهؤلاء الأولاد روحياً ، وكنت أحبهم جداً .. وشاءت الظروف أن أنتقل إلى خدمة فى منطقة أخرى وهى أحد الأيام وأنا سائر بالقرب من " حكر عزت " قفز أحد الصبيان الصغار من محل ماسح أحذية وجرى نحوى يسلم علىّ فى محبة وهو يقول " أنا تلميذك" ... اذكر هذه القصة فتنفعل مشاعرى فى داخلى .

ما أحوج هؤلاء إلى الفئات الساقط من خدمتك .. بينما آخرون متخمون بخدمات مركزة !!

إن الذين يعيشون فى الحوارى والأزقة والقرى ، هم يحتاجون أكثر ... فالذى يسكن فى الشارع الكبير قد يجد كثيرين يخدمونه، أما الذى يسكن فى " العطفة " ، والدرب ، والزقاق ، فربما يكون من الذين ليس لهم أحد يذكرهم ...

لذلك ما أجمل ما فعله أخوتنا الذين كرسوا جهودهم لخدمة أحياء الزبالين ، وبعض الأحياء الشعبية الأخرى فى القاهرة .

وما أجمل الذين يجمعون الأطفال الفقراء من الطرقات ، وأولاد الصناع والعمال والكناسين والذين لا عمل لهم ويوصلون إليهم كلمة الله التى يوصلوها إلى أولاد الأغنياء ...

جميلة تلك العبارة التى وردت فى الدسقولية عن الراعى أنه يجب أن " يهتم بكل أحد ليخلصه " .

لذلك سررت لما قال لى أحد الآباء الكهنة إنه سيقيم قداساً كل يوم إثنين فسألته لماذا؟ فقال " من أجل الحلاقين وأصحاب وظائف أخرى ... عطلتهم هى فى هذا اليوم . وآخرون من أصحاب النوبتجيات لا يجدون فراغاً إلا فى يوم معين . ومن المفروض فى الكنيسة أن توفر الرعاية لكل أحد ومن بين هؤلاء ، نذكر :

خدمة الشباب المنحرف :

إننا - للأسف الشديد - نهتم فقط بالشباب الذى يأتى إلينا فى الكنيسة فى إجتماعات الشبان ، أو مدارس التربية الكنسية ، أو فى الأنشطة والخدمات ونكتفى بهذا .

ويندر أن تكون لنا خدمة وسط الشباب الذى يتسكع فى الطرقات، أو يضيع وقته فى الملاهى وفى المقاهى والذى يدل شكله ولبسه وحديثه على أنه بعيد تماماً عن الكنيسة .

أمثال هذا الشباب ، هو من النوع الذى ليس له أحد يذكره . بل بالأكثر قد يوجد متدينون يحتقرونه ويرفضون حتى الحديث معه... كيف يخلص هؤلاء إذن ؟ أليسوا هم أيضاً محتاجين إلى رعاية ؟!

إن الأسقف حينما يرسم على إيبارشية ، إنما يرسم عليها كلها، وليس سيامته من أجل الصالحين فيها فقط، المترددين على الكنيسة، إنما من أجل الكل .

عمله أن يطلب ويخلص ما قد هلك (لو ١٩: ١٠) كما فعل سيده

وتحت عنوان " ما قد هلك " ، تدخل فئات كثيرة من الذين ليس لهم أحد يذكرهم : طلبة شطبهم خدام التربية الكنسية من قوائمهم لكثرة غيابهم . وعائلات أعتبرها الآباء الكهنة أنها ليست من أولاد الكنيسة بسبب سلوكها. ألوان عديدة من المنحرفين الذين يفضل كل الخدام البعد عنهم خوفاً ، أو حرصاً أو عجزاً ، أو يأساً .. ! ليس لهم أحد يذكرهم .

ما أخطر أن يوجد إنسان ، تيأس منه الكنيسة، أو تنساه، أو تتجاهله أو تحتقره ، أو تطرده، أو تعتبره من أهل العالم !

نتحدث عن نوع آخر من الذين ليس لهم أحد يذكرهم ، وهو :

المنسيون فى الإفتقاد :

قد توجد عائلات في الأسكندرية أو في القاهرة ، تمر عليها سنوات عديدة لا يزورها أحد من الآباء الكهنة .

ولا تهتم الكنيسة بهؤلاء ، إلى أن يهتم بهم الشيطان ويفتقدهم !

وحينئذ تبدأ الكنيسة تتعرف إلى أحدهم فى قضية طلاق، أو فى حادث إرتداد. وكان السبب فى كل هذا، أن هؤلاء ليس لهم أحد يذكرهم ، مع أنهم ليسوا فى قرى فقيرة أو نائية ، وإنما هم فى قلب

العاصمة !

نحن أحياناً لا نهتم بالحالة ، إلا بعد أن تصل إلى أسوأ درجاتها ولو ذكرناها فى بادئ الأمر ، ما كنا نحزن فى نهايته ...

لست أقصد بالذين ليس لهم أحد يذكرهم، المحتاجين إلى الرعاية فى مجاهل افريقيا ، أو الهنود الحمر فى أمريكا ، مع حاجة كل هؤلاء بلاشك !

إنما أقصد " الهنود الحمر " فى قلب العاصمة ، أو فى قلب المدينة العامرة وربما قريباً من الكنيسة !

إن التخصص فى خدمة " الضالين " أمر لازم فى الرعاية ...

بلاشك كانت المرأة السامرية واحدة من الذين ليس لهم أحد يذكرهم ، وكذلك زكا العشار ، ومتى العشار ، وآخرون وقد قال السيد المسيح " لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى " . فهل يمكن أن يتخصص بعض الخدام فى مثل هذه الخدمة ؟

هناك نوع من الخدام كنا نسميهم " خدام الحالات الصعبة " .

الحالات الصعبة :

كانوا يذهبون إلى الحالات التى تبدو معقدة ، التى وصلت إلى أسوأ درجاتها . ومع ذلك لم يفقد الخادم الأمل منها .

الحالات التي قد لا تقبل الخدام وقد تطردهم، أو التي لا تقبل كلاماً ولا إقناعاً، وتصل إلى لون من الإصرار والعناد يدفع إلى اليأس ...

هذه الحالات بالنسبة إلى كنائس أخرى ، كانوا يتركونها يائسين، وينفضون أيديهم منها ، وتبقى ضمن الذين ليس لهم أحد يذكرهم ..

أما خدام الحالات الصعبة ، فكانوا يفتقدون هذه الحالات ، ولو في آخر رمق، وهم متألمون لأن الحالة لم تكن قد افتقدت منذ البدء

إن الخدمة الصعبة لها أجر أكبر عندالله، لأن الخادم يتعب فيها، والله لا ينسى تعب المحبة ...

دعوة يوسف الرامي لخدمة السيد المسيح أمر سهل، ولكن من الصعب أن تدعو رجلاً كزكا. فرق بين أن تدعو إنساناً كيوحنا الحبيب إلى إجتماع، وأن تدعو آخر كشاول الطرسوسى ...

سهل أن تفتقد العائلات المنحلة والتعب في حل مشاكلها ومصالحة المتخاصمين فيها .

إن الأجر الكبير ليس لمن يزرع الأرض الجيدة ، إنما لمن يستصلح الأراضى البور والأراضى المالحة، ويحولها إلى أرض زراعية جيدة .

فتلك الأراضى البور ربما كانت لمدة طويلة من النوع الذى

ليس له أحد يذكره بسبب صعوبة العمل فيها .

هناك طائفة أخرى نذكرها وهى :

المساجين :

المساجين يحتاجون إلى عناية خاصة تعيد إليهم كيانهم ومعنوياتهم ، وتعيدهم إلى الله وإلى الحياة النقية معه، سواء وهم فى السجن، أو بعد خروجهم منه .

وكثيرون يرون المساجين من الحالات الصعبة ، فلا يفكرون فى خدمتهم، ويتركونهم ضمن الذين ليس لهم أحد يذكرهم ...

اذكر شاباً كان محكوماً عليه بالإعدام منذ حوالى ثلاثين عاماً. وزاره الفاضل المتنيح القمص ميخائيل إبراهيم واستطاع أن يقوده إلى التوبة والإعتراف وإلى الإستعداد للموت. وعاش الفترة السابقة لإعدامه فى حياة طيبة مع الله والناس ، وفى سلام قلبى عجيب وكان محبوباً جداً من كل أسرة السجن التى تعاملت معه . ولاقى الموت بفرح وذهب إلى المشنقة وهو يحيى ويداعب الذين حوله، وبكى عليه ضابط وموظفو السجن ...

هذا الشاب وجد قلباً يذكره ، وهو تحت حكم الإعدام . وظل

هذا القلب إلى جواره إلى أن لاقى ربه في سلام والإبتسامة على شفتيه .

إن المسجون الذى لا تستطيع أن تنقذ رقبته من المشنقة ، قد تستطيع من ناحية أخرى أن تنقذ نفسه من الجحيم ...

حقاً ما هى الخدمة الروحية التى نقدمها نحن إلى هؤلاء المسجونين؟ بل ما هى الخدمة الإجتماعية التى يلاقيها المسجون بعد خروجه من السجن . على أن هناك نقطة هامة جداً فى هذا الموضوع وهى :

خدمة أسرات المسجونين . وبخاصة أولئك الذين سجن عائلهم ، واصبحت الأسرة مهددة تماماً بالإنهيار المالى والمعنوى .

هل وجدت خدمة منظمة ثابتة لأمثال هذه العائلات ، وتعهدتها بالعناية والإفتقاد والمعونة ؟ حرصاً عليها من التفكك ومن الضياع، وخوفاً عليها من الإنهيار الإجتماعى أو الخلقى ، وسداداً لكل إحتياجاتهم المالية...؟ أم أمثال هذه العائلات ، تدخل تحت عنوان: الذين ليس لهم أحد يذكرهم .

مجموعة أخرى من الناس ، نحب أن نوجه الأنظار إلى خدمتهم روحياً وهم :

الفقراء والمتعطلون :

لست أقصد من يذكرهم مادياً ، فكثيرون يذكرونهم ، إنما أقصد بالذات خدمتهم روحياً ...

توجد مكاتب للخدمة الإجتماعية فى البطريركية وفى المطرانيات وفى جميع الكنائس ، تقدم معونات مالية وعينية لهؤلاء، وتساعدهم على أن يجدوا لهم عملاً ومصدراً للرزق . وهذا حسن جداً ، ونرجو أن يصل إلى صورته الكاملة ولكن المشكلة ليست هنا . وإنما هى هذه :

ما أكثر ما يأتى الفقراء إلى مكاتب الخدمة الإجتماعية ، بأساليب من الكذب والخداع والإحتيال . وقد نعطيهم حاجتهم المادية ، وتبقى نفوسهم ضائعة !!

وعلى الرغم من المساعدات التى تقدم لهم ، هم لا يزالون من الناحية الروحية ضمن الذين ليس لهم أحد يذكرهم ...!

وبعض الكنائس تقيم لهم إجتماعاً روحياً ، ينظر إليه بعض الفقراء كمجرد مقدمة للمعونة .. ولا يكون له العمق الذى يغير حياتهم ، ويقودهم إلى التوبة ويبعدهم عن الكذب والإحتيال ..

فعلى مراكز الخدمة الإجتماعية أن تعرف أنه ليس بالخبز وحده

يحيا الإنسان " (مت٤: ٤) .

وإنهم كما يفحصون الحالة الإجتماعية لمن يأخذ معونة مالية ، عليهم أن يهتموا بالمحتاجين من جهة روحياتهم ، لكى يقودوهم إلى حياة أفضل ..

وإن كان هذا يحدث بالنسبة إلى من يتقاضون معونات شهرية ثابتة ، فهل يحدث هذا الإهتمام الروحى أيضاً للحالات الطارئة التى تأخذ معونة وتمضى ، ولا تعرف الكنيسة شيئاً عنها بعد ذلك؟

يمكن أن نضم إلى هؤلاء مجموعات أخرى وهى :

الملاجئ والمعوقين :

نفس الوضع : ربما أهم ما تقدم لهؤلاء ، هى العناية المادية والإجتماعية وقد يبقون من الناحية الروحية والنفسية ضمن الذين ليس لهم أحد يذكرهم .

وكثيراً ما تقدم لهؤلاء العناية العلمية والتأهيل المهنى والوظيفى، والبحث لهم عن عمل . ووسط التركيز الشديد على هذا الأمر ، يبقى هؤلاء محتاجين إلى عمل روحى كبير ، لكى ينجوا من العقد النفسية ، ويتربوا التربية الروحية الصالحة ، التى يجدون فيها

الحب والحنان والمعاملة الطيبة ، والصلة القوية بالله.

ومع العناية باللاجئين ، قد تبقى أسراتهم ضمن الذين لا أحد يذكرهم !

كل ما يستطيع الملجأ أن يقدمه ، هو أن يتلقى الطفل اللاجئ مع أسرته وقد لا يفكر بعد ذلك فى هذه الأسرة وكيف تعيش مادياً وروحياً ؟ وما الخدمة التى يمكن تقديمها لها ؟

مجموعة أخرى قد لا توجد من يهتم بها روحياً وهى :

المرضى :

غالبية إهتمامنا بالمرضى يتركز فى حالتهم الصحية . أما من الناحية الروحية ، فليس من أحد يذكرهم !

وقد يكون إنسان فى مرض خطير ، وبينه وبين الموت خطوات قصيرة . ومع ذلك لا يهتم أحد بأبديته ، ولا يعده لها . بل كثيراً ما يحيطه الكل بالأكاذيب مخفين عنه مرضه ، حتى لا يتعب نفسياً . وقد يحيطونه بالتسليات العالمية أيضاً ..

وقد يجلس الزوار والأقارب حول المريض ، إلى ساعات طويلة، فى أحاديث مستمرة يسلونه بها ، دون أن يعطوه فرصة للصلاة والتوبة ...

لماذا لا يوجد خدام روحيون متخصصون في زيارة المرضى، يعرفون كيف يتحدثون معهم حديثاً روحياً ونفسياً ، ويهتمون بأبدية الذين قد قرب رحيلهم لكي يعدوهم لهذا الرحيل ، فتخلص نفوسهم في ذلك اليوم ؟!

كلمتكم في هذا المقال عن الفقراء والمحتاجين ، وعن المرضى والمساجين ، والشبان المتسكعين ..

وأود أن أتعرض لمجموعة على عكس كل هؤلاء ، وتدخل ضمن الذين ليس لهم أحد يذكرهم ، وهي :

الأغنياء وأصحاب المناصب :

هؤلاء قد يستحي الخدام أو الكهنة من أن يحدثوهم عن التوبة والتخلص من خطاياهم .. وربما كل ما تطلبه منهم الكنيسة هو تبرعاتهم ، أو توسطهم في أمور تهم الكنيسة ! أما أرواح هؤلاء وقلوبهم وأبديتهم ، فليس لها أحد يذكرها !

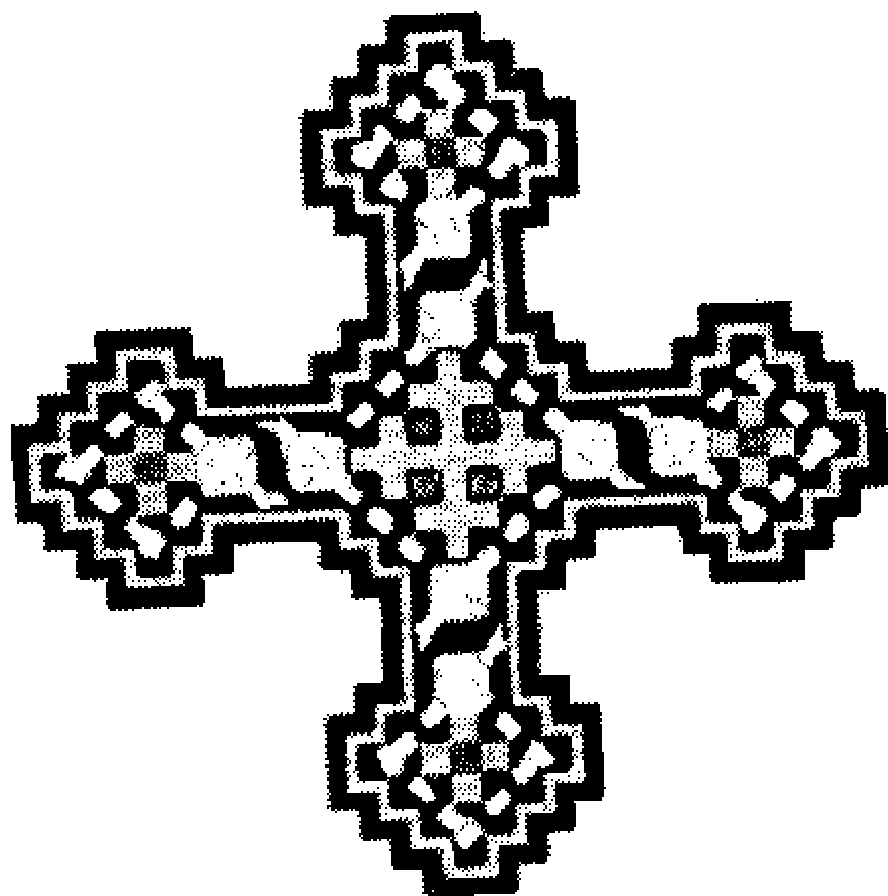
إنهم أيضاً يحتاجون إلى الكلمة توصلهم إلى الله فيتوبون ، إن كانوا محتاجين إلى توبة ...

لهذا اشترط الكتاب في الأسقف أنه " لا يأخذ بالوجوه " ، أي لا يجامل هؤلاء الأغنياء والعظماء ، وبخاصة المتبرعين منهم ، على

حساب روحياتهم ولا نقصد أن يستخدم البعض معهم أسلوب الشدة، كما وبخ المعمدان هيرودس ..

إنما على الأقل ، فليستخدم معهم أسلوب التوجيه الروحي ، الممتزج بالإحترام والمودة ، كما فعلت أبيجايل مع داود الملك ، لما أراد الإنتقام لنفسه ، ويقتل نابال الكرملي (١صم ٢٥) .

أو يستخدم معهم أسلوب الحكمة التي تكلم بها ناثان النبي مع داود أيضاً (٢صم ١٢) .



الباب السابع

يُهيئ للرب شعباً مستعداً

يهيئ للرب شعباً مستعداً

(لو ١: ١٧)

نعم ، ما أجمل هذه العبارة التى قالها ملاك الرب فى البشارة بميلاد يوحنا المعمدان : إنه " من بطن أمه يمتلئ من الروح القدس، ويرد كثيرين من بنى اسرائيل إلى الرب إلههم . ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته .. لكى يهيئ للرب شعباً مستعداً " (لو ١: ١٥-١٧) وقيل أيضاً عنه فى نبؤة ملاخى " هأنذا أرسل ملاكى ، فيهيئ الطريق أمامى " (ملا٣: ١) (مر ١: ٢) .

وكيف يهيئ الطريق قدام الرب ؟

بأنه " كان يكرز قائلاً : يأتى بعدى من هو أقوى منى ، الذى لستُ أنا أهلاً أن أنحنى وأحل سيور حذائه " (مر ١: ٧) (مت٣: ١١) " أعدوا طريق الرب ، أصنعوا سبله مستقيمة " (مت٣: ٣) .

وكيف كان يوحنا يهيئ للرب شعباً مُستعداً ؟ ..ذلك بقيادتهم إلى التوبة ... كان يكرز بمعمودية التوبة . ويقول للناس : " أنا أعمدكم

بماء للتوبة " " أصنعوا ثماراً تليق بالتوبة " (مت٣: ١١،٨).

نقول هذا لأن كثيرين كل خدمتهم هى قيادة الناس إلى مجرد المعرفة ، وليس إلى التوبة ...!

لكن ماأجمل المعرفةَ التى تقود إلأى التوبة ... التى لاتخاطب العقل فقط ، إنما تعمل فى القلب ليلتصق بالله ...

لقد خلق الله شعباً يملأ الأرض كلها . وهو يريد أ، الجميع يخلصون ، وإلى معرفة الحق يقبلون (١تى٢: ٤) . وقد ترك الرب هذا الشعب إلى مجموعة من الوكلاء (لو١٢: ٤٢) أوإلى مجموعة من الكرامين (مت٢١: ٣٣) . لكى يعدوا للرب شعباً مستعداً . ووضع أمامهم هذه الآية : " **من ردّ خاطئاً عن ضلال طريقه ، يخلص نفساً من الموت ويستر كثرة من الخطايا** " (يع٥: ٢٠)

والمعروف أن الخلاص بالمسيح وحده ، الذى " ليس بأحد غيره الخلاص " (أع٤: ١٢) . فمامعنى عبارة " يخلص نفساً " هنا؟ معناها: يقودها إلى الخلاص الذى بالمسيح يسوع . أو يهيئ هذه النفس للخلاص ، بالإيمان والتوبة . فى يوم من الأيام ذهب صموئيل النبى إلى بيت لحم ، ليمسح واحداً من أولاد يسى البيتلحمى ملكاً للرب . فقال : " تقدسوا وتعالوا معى إلى الذبيحة ". ويقول الكتاب عنه : " **وقدّس يسى وبنيه ، ودعاهم إلى الذبيحة** "

(١صم١٦: ٥)

فما معنى كلمة " قدّسهم" هنا ؟ معناها نفس العبارة : هيأ للرب شعباً مستعداً .. وهذا الوضع ذاته قيل عن الشعب قبل سماعهم الوصايا العشر ... " قال الرب لموسى : أذهب إلى الشعب ، وقدّسهم اليوم وغداً .. ويكونوا مستعدين .. فأنحدر موسى ، وقدّس الشعب ..." (خر١٩: ١٠،١٤) ...

هو أيضاً هيّأ للرب شعباً مستعداً ، لسماع كلمته ...

ما أعظم هذا الأمر ، أن نهيئ للرب شعباً مستعداً ...

شعباً مستعداً لقبول الخلاص ، شعباً مستعداً لنوال نعمة الرب فى المعمودية (إن كانوا كباراً) أو فى التقدم للتناول من الأسرار المقدسة ... شعباً مستعداً للتوبة ، مستعداً للشركة مع الروح القدس، أو مستعداً لخدمة الرب وبناء ملكوته .. أنظروا ماذا يقول بولس الرسول :

" خطبتكم إلى رجل واحد ، لأقدم عذراء عفيفة للمسيح " (٢كو١١: ٢)

من فيكم يستطيع أن يقدم نفوساً عفيفة للرب ؟ يهيئ له نفوساً مستعدة لمحبته ...

كانت هذه هى وظيفة يوحنا المعمدان ز لقد هيأ هذه العروس ـ

أى الكنيسة للرب . هيأها له بالتوبة ، بمعمودية التوبة . ولما سلّمها له ، وقف فى فرح يقول : " من له العروس فهو العريس . أما صديق العريس الذى يقف ويسمعه فيفرح .. إذن فرحى هذا قد كمل " (يو٣: ٢٩)

وعروس الرب قد تكون نفساً واحدة ، أو شعباً أو شعوباً

قد تكون فصلاً فى التربية الكنسية ، وقد تكون كنيسة بالنسبة إلى أب كاهن ، وقد تكون إيبارشية بالنسبة إلى أب أسقف. وقد تكون شعباً أو شعوباً كمسئولية الآباء الرسل، وغيرهم من الأنبياء. وقد تكون الكنيسة كلها التى يقدمها المسيح ، حينما يسلم الملك للآب (١كو١٥: ٢٤)، أو هى أورشليم السمائية التى أبصرها القديس يوحنا الرائى .

" ... كعروس مزينة لعريسها " (رؤ ٢١: ٢) .

نعم ، هذه هى وظيفة الخدام والوعاظ والكهنة والرعاة وكل صيادى الناس، أن يهيئوا هذه العروس – أى النفوس – لعريسها، مزينة بالفضائل "معطرة بالمرّ واللبان، وبكل أذرة التاجر" (نش٣: ٦) .

إنهم يهيئون النفوس ، فتبدو جميلة أمام الرب .

تلبس ثوب البر ، أو تلبس ثياباً من نور ، وينشدون لها تلك

الأغنية الجميلـة " كل مجد إبنـة الملـك مـن داخـل، مشـتملة بثيـاب موشاة بالذهب، ومزينة بأنواع كثيرة " (مز ٤٥) .

كان هذا أيضاً هو عمل الأنبياء فى العهد القديم، وعمـل الوحـى الإلهى، الذى هيـأ شـعباً مسـتعداً لقبـول الخـلاص والفـداء والتجسد الإلهى، بنبوءات ورموز ...

وهو أيضاً عمل الملائكة القديسين الذين قيل عنهم :

" أليسوا جميعهم أرواحاً خادمة ، مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص " (عب١: ١٤).

هؤلاء هم الملائكة الحالة حول خـائفى الـرب وتنجيهـم مـن كـل شر ... هؤلاء الذين نقول عنهم للرب فى صلواتنا باستمرار "احطنا يـارب بملائكتـك القديسين ، لكـى نكـون فـى معسـكرهم محفوظيـن ومرشدين " .

تهيئة النفوس هى أيضاً مسئولية كل الذين يعملـون فـى كرمـه . فأحدهم يغرس ، والثانـى يسقى ، والله ينمـى . وكلهـم عـاملون مـع الله (١كو٣: ٦، ٩)... ولكن من أجل قلة العاملين فى تهيئة النفوس للرب، لذلك يقول لنا :

" الحصاد كثير ، ولكن الفعلة قليلون . أطلبوا إلى رب الحصـاد أن يرسل فعلة لحصاده " (مت٩: ٣٧) .

ومع ذلك يحتاج الرب إلى فعلة من نوعين ... لا يكونون مثل أولئك الكرامين الأردياء الذين قال لهم الرب "ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل ثماره " (مت٢١: ٤٣) .

والذى يهيئ للرب شعباً مستعداً عليه أن يكون طويل البال ، لا يضجر بسرعة . حتى إن كانت الشجرة لا تصنع ثمراً لسنوات طويلة ، لا يقطعها للتو، بل يتركها سنة أخرى، وينقب حولها ويضع زبلاً ، لعلها تأتى بثمر (لو١٣: ٨) .

هناك كثيرون مسئولون أن يهيئوا للرب شعباً مستعداً ، منهم الآباء والأمهات فى محيط الأسرة .

الأطفال فى أيديهم عجينة لينة يمكنهم تشكيلها بالطريقة التى ترضى الرب ، بالتعليم والتدريب ، وبالقدوة الحسنة ، وبوضع الأساس الروحى القوى ، الذى تبنى عليه الحياة الروحية راسخة ، لا تزعزعها محاربات العدو من الخارج ...

للأسف كثير من الأسرات ، تهمل تربية أولادها ، معتمدة على الكنيسة ومدارس الأحد . ولكن هذا لا يعفيها مطلقاً من المسئولية أمام الله، ناسين قول الكتاب :

" ربّ الولد فى طريقه . فمتى شاخ أيضاً ، لا يحيد عنه "

(أم٢٢: ٦) .

وأيضاً قول الرسول " أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم ، بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره " (أف٦: ٤) .

إن التاريخ يحدثنا عن أمهات قديسات ، أعددن للرب أبناء صالحين قادوا شعوباً . مثل يوكابد الذى كان من ثمرة بطنها وتربيتها موسى النبى، ومريم النبية، وهارون رئيس الكهنة. وكذلك تلك الأم القديسة التى أنجبت القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة قيصرية كبادوكيا، وأخيه القديس غريغوريوس أسقف نيصص، وأخيه القديس بطرس أسقف سبسطية ، وأختهم القديسة ماكرينا المرشدة الروحية ورئيسة دير ...

هؤلاء الأمهات القديسات أدركن عمل الإشبين فى الكنيسة .

الكنيسة تسلم الأمهات الأطفال بعد المعمودية لكى يقمن – كإشبينات – بتربية هؤلاء الأطفال تربية روحية فى مخافة الله ومحبته . فإن قامت الأمهات بواجبهن الروحى، يمكنهن حينئذ إعداد شعب مستعد للرب. وتستطيع الأم أن تعطى إبنها من الروحيات أضعاف ما تعطيه له مدارس الأحد، وتحفظ له النقاوة التى خرج منها من المعمودية، بل تنميها أكثر وأكثر . وتهيئ أبناءها للرب وخدمته ... وينشأ الأبناء على حياة القداسة فى (كنيسة البيت) ...

كذلك عمل الكنيسة أن تهيئ للرب شعباً مستعداً ...

تقوم بتهيئته عن طريق الكرازة ونشر الإيمان ، وعن طريق الأسرار المقدسة : وبخاصة المعمودية والمسحة المقدسة ، وسرّى التوبة والإفخارستيا. وكانت الكنيسة فى القديم تهيئ المؤمنين للعماد عن طريق فصول الموعوظين ، وشرح قانون الإيمان لهم كما فى كتاب القديس كيرلس الأورشليمى .

بل كانت الكنيسة تعدّ شعباً مستعداً للإستشهاد .

تعلّمه تفاهة الحياة الأرضية، وتدربه على حياة الزهد فى المادية وتثبته في حياة الإيمان ، وتشرح له كيف أن الموت مع المسيح أو لأجل المسيح يؤهله إلى الحياة معه فى الفردوس . وأن الموت ليس سوى إنتقال إلى حياة أفضل فى عشرة الله وملائكته وقديسيه ...

وما أكثر الكتب التى حفظتها لنا مكتبة أقوال الآباء وموضوعها [الحث على الإستشهاد] ... وبهذا كله كان الشهداء يتقبلون العذابات والموت فى شجاعة وفرح ...

كانت الكنيسة تعدّ المؤمنين أيضاً للأبدية .

تعدّهم لملاقاة الرب ، سواء فى الموت الشخصى أو فى مجئ الرب . وكانوا يستخدمون عبارة (ماران آثا) أى ربنا آتٍ ، كما كتب القديس بولس الرسول (١كو١٦: ٢٢) .

تعدّهم للأبدية ، بعدم الخوف من الموت ، وبحياة التوبة والقداسة ، وبالتعليق بالسماء والحياة الأخرى . وبقول بولس الرسول "لى إشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح. ذاك أفضل جداً " (فى١: ٢٣) .

كانت الكنيسة تعدّهم ضد الشكوك والهرطقات .

بتثبيتهم فى الإيمان المستقيم ، وبقول القديس بطرس "مستعدين فى كل حين ، لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم " (١بط٣: ١٥) .

وكانت الكنيسة تعدّ شعبها بالرد على كل الهرطقات والبدع ، بالمجامع المقدسة وكتب الآباء وبالتعليم القوى ، حتى لا ينحرف أحد عن إيمانه بما يبذره المبتدعون من شكوك ...

وكانت الكنيسة بمداومة التعليم تهيئ للرب شعباً مستعداً .

كما قال القديس بولس لتلميذه تيموثاوس " لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك . فإنك إن فعلت هذا، تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً " (١تى٤: ١٦) . وهكذا كانت الكنيسة تشترك أن يكون الأسقف صالحاً للتعليم (١تى٣: ٢) " لكى يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ، ويوبخ المناقضين " (تى١: ٩) . وحتى بالنسبة إلى المخطئين ، تقول الدسقولية " اصلح الذنب بالتعليم " .

وكانت الكنيسة تعدّ للرب شعباً ، بالتأديب أيضاً ...

كما يقول القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس الأسقف "وبخ انتهر عظ " (٢تى٤: ٢) " الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع ، لكى يكون عند الباقين خوف " (١تى٥: ٢٠) . ومن أجل الإحتفاظ بقدسية الكنيسة أمر القديس بولس من جهة خاطئ كورنثوس " أن يسلّم مثل هذا للشيطان لإهلاك الجسد، لكى تخلص الروح فى يوم الرب" (١كو٥: ٥) . ووبخ أهل كورنثوس قائلاً لهم "اعزلوا الخبيث من بينكم " (١كو٥: ١٣) .

ويقول القديس يهوذا غير الإسخريوطى " وخلصوا البعض بالخوف، مختطفين من النار، مبغضين حتى الثوب المدنس من الجسد " (يه٢٣) .

وكانت الكنيسة تهيئ للرب شعباً ، عن طريق الصلاة وتشجيع صغار النفوس والضعفاء .

إذ يقول الرسول فى ذلك " شجعوا صغار النفوس ، اسندوا الضعفاء، تأنوا على الجميع" (١تس٥: ١٤) . ويقول أيضاً " اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم، والمذلين كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد " (عب١٣: ٣) .

وقيل عن السيد المسيح له المجد إنه كان " قصبة مرضوضة لا

يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ " (مت١٢: ٢٠) .

ومن أجل تهيئة شعب مستعد لله ، كانت الكنيسة تصلى أن يرسل الرب فعلة لحصاده، وأن يعطى الرب قوة للخدام، وحكمة للرعاة وسمعاً وقبولاً من المخدومين .

كذلك تشجع الشعب على السهر الدائم على خلاص أنفسهم، كما قال الرب " اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة " (مت٢٦: ٤١). وكما قيل عن حراسات الليل إنهم كانوا " كلهم قابضون سيوفاً ومتعلمون الحرب . كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل " (نش٣: ٨) .

والكنيسة تعدّ للرب شعباً مستعداً فى الحروب الروحية .

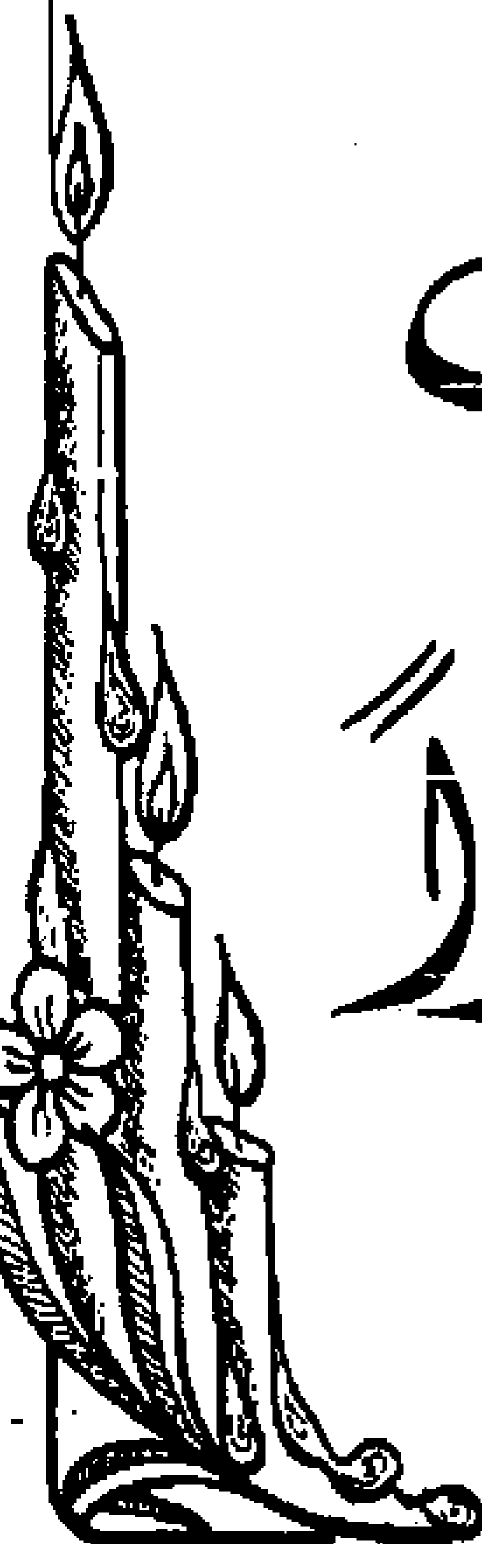
تقول لأولادها " اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر، يجول ملتمساً من يبتلعه هو . فقاوموه راسخين فى الإيمان " (١بط٥: ٨، ٩). وتجعلهم مستعدين لملاقاته، بضبط النفس، وبالصلاة، والتداريب الروحية، والمداومة على الإعتراف والتناول، مستعدين ضد كل غواية وفكر " مستأسرين كل فكر لطاعة المسيح" (٢كو١٠: ٥) . فى كل ما قلناه إسأل نفسك :

كم نفساً إستطعت أن تهيئها للرب ، حتى تكون مستعدة للحياة معه والثبات فيه ؟



الباب الثامن

تكونون لي شهوداً



تكونون لى شهوداً

(أع ١ : ٨) .

قال السيد الرب لتلاميذه " وتكونون لى شهوداً فى أورشليم ، وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض " .

إذن فالإنسان المؤمن لا يكتفى بأن يعرف الله ، إنما ينبغى أن يكون شاهداً له ، يعرّف الناس به ...

من الأمثلة الواضحة فى هذا الأمر، المرأة السامرية التى لما عرفت الرب، لم تستطع أن تصمت. وإنما ذهبت لأهل بلدها، وقالت لهم "تعالوا وأنظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت" (يو ٤: ٢٩).

ومن الأمثلة الأخرى فيلبس لما عرف المسيح ، لم يقتصر على معرفته ، وإنما " وجد نثنائيل وقال له : وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس – يسوع الذى من الناصرة " (يو ١: ٤٥) .

وهكذا كان الواحد له تأثير على غيره ، يضمه إلى الرب .

من الجائز أنك لا تكون من الناس الكبار الذين أعطاهم الرب خمس وزنات ، ولا حتى من الذين أخذوا وزنتين . وليست لك

سوى وزنة واحدة . هذه أيضاً لابد أن تتاجر بها وتربح . ولابد أن تسأل نفسك هذا السؤال الهام :

ما مدى شهادتى للمسيح ؟ من هم الذين أوصلتهم إلى الرب ؟

لا تحاول أن تعتذر أو تتهرب . لا تقل ليست لى مواهب ولا أصلح ، كما قال موسى " لست صاحب كلام . أنا إنسان أغلف الشفتين . أنا ثقيل الفم واللسان " (خر٤: ١٠) (خر٦: ٣٠) . ولا تقل كما قال أرميا " لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد " (أر١: ٦) . لأن الله لم يقبل استعفاء موسى ولا أرميا . أريد أن أقول لك ماذا تفعل، إن لم تكن لك مواهب ، أو حسبت نفسك كذلك ...

اشهد للرب بحياتك ، بروحك ، بسلوكك ، بمعاملاتك ...

وحينئذ ينطبق عليك قول الرب " فليضىء نوركم هكذا قدام الناس، لكى يروا أعمالكم الحسنة ، ويمجدوا أباكم الذى فى السموات " (مت٥: ١٦) . وبهذا تكون قد شهدت للرب ... على الأقل شهدت بأن وصاياه ممكنة التنفيذ ، وليست مجرد مثاليات خيالية ، كما يظن البعض ... ! وكل من يراك يقول :

حقاً " إن أولاد الله ظاهرون " (١يو٣: ١٠) .

نعم ، ظاهرون ومميزون : فى حياتهم وتصرفاتهم وأسلوبهم الروحى ، وطريقة معاملاتهم ، ونوعية ألفاظهم المنتقاة ... وكل

من يستمع إليك يقول " لغتك تظهرك " (مت٢٦: ٧٣) . ولكى تكون لك هذه الشهادة ، ينبغى أن تكون لـك حياة روحيـة نقيـة ومثمـرة . وعلى الجانب الآخر ، لا يستطيع أحد أن يشـهد للـه بكلامـه فقـط ، بينما حياته خاطئة . حينئذ سوف تقف حياته ضد كلامه الروحـى ، وتفقد ذلك الكلام تأثيره ...

أيضاً يمكنك أن تشهد لله فى بيتك ، وسط عائلتك ...

أهل بيتك يعيشون معك باستمرار ، وينجذبون إليك برابطة الأم، وبينك وبينهم محبة طبيعية وعلاقة طيبة ... فهم أقـرب إلـى التـأثر بك ، إن كنت ذا تأثير . وإن كنت لا تستطيع أن تشهد لله فى بيتك، فكيف تشهد للغربـاء ؟! إنمـا هنـاك شـرط لشـهادتك فـى بيتـك ، أن تكون حياتك بلا لوم أمامهم ، وأن تقول لهم ما تنفذه فعلاً فى حياتك من الفضيلة ونقاوة السيرة . وإلا فإنهم يقولون لك " أيهـا الطبيـب ، إشف نفسك" (لو٤: ٢٣) .

وإن لم تستطع فى بيتـك أن تشـهد لـلرب وسـط الكبار ، فعلـى الأقل افعل ذلك وسط الصغار ، مع الأطفال ...

الأطفال الذين إذا أحبوك يقلدونك . وإن أحببتهم يلتفـون حولـك، ويحبـون أن يسـمعوا منـك حكايـة أو ترتيلـة أو كلمـة تعليـم . خـذ هؤلاء مجالاً لخدمتك ، وقل " ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الرب" (أش ٨: ١٨) (عب٢: ١٣) . وإن كنـت رب أسـرة ومسئولاً عـن

هؤلاء الأطفال، تقول " أما أنا وبيتى ، فنعبد الرب" (يش٢٤: ١٥).

لذلك فالإنسان الذى لم يستطع أن يدبر أهل بيته حسناً ، لا يصلح أن يكون كاهناً .

لأن هذا هو أحد الشروط التى اشترطها الكتاب فيه ، إذ يقول "يدبر أهل بيته حسناً " . له أولاد فى الخضوع بكل وقار " (اتى٣: ٤) . ويتابع الرسول فيقول " وإنما إن كان أحد لا يعرف أن يدبر بيته ، فكيف يعتنى بكنيسة الله ؟!" (اتى٣: ٥) . إذن موضوع الشهادة فى البيت أمر هام .

فالأم إشبينة لإبنها فى وقت العماد .

استلمته من الكنيسة لتربيه فى خوف الله ، وتدربه على حياة الفضيلة ، وتعلمه الصلاة والترتيل ثم الصوم حينما يكبر ، وتعطيه القدوة الصالحة ، وتجعله يحب الكنيسة وكل ما فيها .. ثم تدربه فى نضوجه على الإعتراف والتناول ...

وكذلك الأب يقف أمامه قول الرب فى سفر التثنية "ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك ، وقصها على أولادك . وتكلم بها حين تجلس فى بيتك .. " (تث٦: ٦، ٧) .

هذا من الناحية الإيجابية. أما من الناحية السلبية، فإن الأب الذى يثور فى البيت، ويشتم ويتشاجر، فإنه يكون عثرة لأولاده فى

روحياتهم ... وينطبق عليه عقاب الرب للذين يعثرون الصغار (مت١٨: ٦) ...

يمكنك أيضاً أن تشهد للرب وسط أصدقائك ومعارفك ...

وسط زملائك في العمل ، وفي أماكن نشاطك كلها . تقدم شهادة للروح الطيبة ، للحياة الفاضلة . لعفة اليد ، وعفة اللسان ، وحسن التعامل مع الآخرين . وتقدم مثالاً للمحبة التي تعطي وتبذل وتضحي ، وتنقذ الآخرين وتساعدهم . بحيث كل إنسان يتعامل معك ، يحب الحياة التي تحياها ، ويمجد الله بسببك ...

أنا لا أقصد بشهادتك للرب ، أن تقيم نفسك معلماً لغيرك " .

وإنما أن تقدم لهم الأمثولة الطيبة للحياة الفاضلة . وإن سألوك عن شئ ، تكون مستعداً للإجابة في وداعة وإتضاع قلب ... وهنا أنتقل إلى نقطة أخرى وهي :

الشهادة للرب في محيط الخدمة .

هذا إذا دعتك الكنيسة أن تخدم ، وقدمت لك مسئولية تقوم بها . وطبعاً ليس كل إنساناً خادماً في الكنيسة . ولكن لاشك أن المسئولين فيها إن وجدوا فيك الغيرة المقدسة وروح الخدمة والإستعداد والإمكانيات ، لابد أن يستخدموك .

وإن لم تكن لك خدمة رسمية ، يمكن أن تزور المرضى ، وأن تعزي الحزاني . وفي كل مناسبة كهذه أو غيرها ، تقول كلمة طيبة

حسبما يعطيك الرب أن تقول ، لا كعظة إنما كعزاء ...

وتذكر فى حياتك الروحية وفى صلتك بالناس قول الرب :

" كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً ، تُقطع وتلقى فى النار "
(مت٧: ١٩) .

وهكذا قال المعمدان أيضاً (مت٣: ١٠) . والثمر الذى تصنعه ، بعض منه خاص بك، والبعض خاص بغيرك ممن تشهد للرب فى حياتهم، وتقودهم لحفظ وصاياه. وثق أنك إن عملت فى هذا الميدان سوف يعطيك الرب المواهب والإمكانيات. فهو يقول عن الغصن المثمر "كل ما يأتى بثمر، ينقيه ليأتى بثمر أكثر" (يو١٥: ٢) .

ما أعمق حياة الذين شهدوا للرب وأتوا بثمر كثير ...

يونان النبى يدخل الملكوت ، وخلفه ١٢٠ ألفاً من أهل نينوى . والقديس الأنبا أنطونيوس يدخل وخلفه ربوات ربوات من الرهبان والنساك والقديس بولس الرسول يدخل إلى الملكوت ، وخلفه مدن كثيرة كرز فيها باسم الرب ...

وأنت ماذا فعلت ؟ من ستدخله معك إلى الفردوس ؟

الإنسان الروحى له رسالة مع كل شخص يدفعه الرب إلى طريقه ، كما فعل فيلبس مع الخصى الحبشى .

لقد قابله فى الطريق ، فرافق مركبته . وانتهى الأمر بأن آمن

ذلك الخصى على يديه ، فعمده ، ومضى ذلك الرجل فى طريقه فرحاً (أع٨: ٢٦- ٣٩) .

وكم من أشخاص القاهم الرب إلى طريقك، ولم تفعل شيئاً لأجلهم ، بينما كان الصوت يرن فى أذنيك " تقدّم ورافق هذه المركبة " (أع٨: ٢٩) . زملاؤك وجيرانك ومحبوك ، وربما البعض ممن قابلتهم عفواً ، وكانوا يحتاجون إلى كلمة الرب من فمك . وكانت الفرصة متاحة ، ولم تستغلها !!

هناك من يشهدون للرب بألسنتهم . وهناك من يشهدون له بطريق غير مباشر .

كمن يقدم لشخص كتاباً ، ويقول له " ليتك تقرأ هذا الكتاب ، فإننى قد إستفدت منه كثيراً " ... أو يقدّم لغيره شريط كاسيت أو فيديو .. أو يدعوه إلى إجتماع ... أو كأب كاهن مثلاً لا يجيد الوعظ ، ولكنه يدعو إلى كنيسته وعاظاً مقتدرين يتأثر أولاده بعظاتهم . كما أنه يغذى مكتبة الكنيسة بكتب نافعة جداً لأولاده ويكون فى كل ذلك قد شهد للرب بطريق غير مباشر ...

ياليت لقاءاتنا مع الناس ، تكون فيها لمسة روحية ...

ولو بطريقة غير مباشرة ، لا تبدو مصطنعة أمام الناس ، والخادم الروحى يستطيع أن ينتهز الفرصة التى يقدم فيها كلمة

منفعة ، أو يستشهد بآية لها تأثيرها ، أو بقول أحد القديسين . ويكون قد قدّم رسالة للسامعين ، دون أن يبدو فى موقف الواعظ . وأحياناً تكون أمثال هذه الكلمات ذات تأثير أعمق ، مع أنها تبدو كما لو كانت قد أتت عفواً ، فى بساطة وفى حكمة .

ليتك تأخذ هذا التدريب فى لقاءاتك مع الناس ...

ألا تستطيع أن تجد فرصة طوال يومك ، تقول فيها كلمة يمكنها أن تثبت فى قلوب سامعيك أو فى عقولهم ؟!

أم يمر اليوم عليك عقيماً ، دون أن تشهد للرب . فيه شهادة واحدة ..!! ودون أن يرد إسم الله على فمك !

أنا أعرف أن الكتاب المقدس له استعمال فى غرفتك الخاصة. ولكن هل له استعمال فى علاقاتك الإجتماعية ؟

وحينما تأتى المناسبة تخرج من كنزك – أى من محفوظاتك – جدداً وعتقاء ، كما قال الرب (مت١٣: ٥٢) .. وهذا يحدث إن كان فى ذاكرتك رصيد من الآيات لشتى المناسبات . وكانت لك النية لاستخدام ما فى ذاكرتك . وكذك إن كانت لك الحكمة فى إختيار المناسبة ...

كم من أناس لهم اشتياق أن يسمعوا . وللأسف لم يجدوا من يكلمهم ، على الرغم من اختلاطهم بخدام ا لكنيسة ..!!

وقد يعاشرون خداماً سنوات وسنوات ، ويكون الواحد منهم ، متكلماً ولطيفاً ، ولكنه لا يتحدث عن الله ... كما لو كان يخجل أن يذكر آية، أو كلمة من أقوال الآباء ، أو قصة من قصص القديسين، أو حديثاً عن فضيلة من الفضائل ، أو نصيحة مفيدة ... وكأنه شجرة خضراء مملوءة ورقاً ، ولكن بلا ثمر ...!!

حاول أن تختبر هذا الأمر ، أن تتكلم عن الله ...

أن يكون فى كلامك عمق روحى . أن تقصد توصيل رسالة من الله إلى الناس . وسترى أن النتيجة ستكون طيبة جداً . حتى لو استفاد من كلامك شخص واحد من بين مجموعة ، فهذه بركة ونعمة . لقد تحدث القديس بولس الرسول فى أثينا . وتأثر بكلامه شخص وسط جمع من المستهزئين به ، هو ديونسيوس الأريوباغى (أع١٧: ٣٤) . وكان أول أسقف لأثينا فيما بعد ...

رسالتك أن تلقى البذار ، واترك الثمار لطبيعة الأرض .

فهكذا علمنا الرب فى مثل الزارع (مت١٣) . وثق أن الذى لا تثمر فيه كلمتك اليوم ، ربما تثمر بعد حين ، حينما تهيئ نعمة الرب أرضه للإثمار . استمع إلى قول الكتاب " إلقِ خبزك على وجه المياه ، فإنك تجده بعد أيام كثيرة " (جا١١: ١) .

لماذا لا يكون الرب على لسانك ، ويشغل جزءاً من أحاديثك ؟!

ولماذا لا تكون لك الغيرة المقدسة التى تدفعك دفعاً إلى العمل فى ملكوت الله ، والشهادة للرب فى عالم مظلم؟ استمع قول الرسول:

" من رد خاطئاً عن ضلال طريقه ، يخلص نفساً من الموت ، ويستر كثرة من الخطايا " (يع٥: ٢٠) .

حاول إذن أن تعمل فى هذا المجال ، بدلاً من أن تسمع عن الخطاة ، فتنتقدهم وتشهر بهم ، أو تحتقرهم ، دون أن تعمل على خلاص أحد منهم !! أو إن شهدت للرب فى حياتهم ، تشهد لما ينتظرهم من جهنم النار ، دون أن تفتح باب التوبة أمامهم ، وتختطفهم من النار لتخلصهم (يه٢٣) .

إن الشهادة لله ينبغى أن تكون فى حكمة وفى حب ...

استمع إلى القديس بولس وهو يقول " أيها الأخوة ، إن أنسبق إنسان فأخذ فى زلة ، فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ، ناظراً إلى نفسك لئلا تجرّب أنت أيضاً . احملوا بعضكم أثقال بعض " (غل٦: ١، ٢) . وبنفس المعنى قال بولس الرسول لشيوخ أفسس الذين استدعاهم من ميليتس " لم أفتر أن أنذر بدموع كل أحد "(أع٢٠: ٣١) .

ولتكن شهادتك للرب مقنعة ومشبعة ودسمة .

تستطيع أن تجذب بها نفوس الناس ، فيفرحون بما يسمعونه من

كلامك. كما قال سمعان بطرس للسيد المسيح " إلى من نذهب ؟! وكلام الحياة الأبدية هو عندك " (يو٦: ٦٨) .

وثق أنك فى شهادتك للرب ، سوف تستفيد أنت أيضاً .

سوف تنمو فى الروح ، وفى معرفة كلمة الرب .

وسوف تدخل فى شركة الروح القدس ، حينما يتكلم روح الله من فمك (مت١٠: ٢٠) . وستجد نفسك مدفوعاً إلى تنفيذ ما تقوله لغيرك . وينطبق عليك قول الرسول : " تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً " (اتى٤: ١٦) . وسيدخل فى حياتك عنصر الحب: حب الله وملكوته ، وحب الناس . وحينما ترى ثمر خدمتك فى الناس ، سيدخل الفرح إلى قلبك . كما أنك سوف تكتسب خبرات روحية فى الخدمة وعمل الله فيها وفيك . وستدفعك الخدمة إلى الصلاة ، فتصلى لأجل المخدومين ولأجل نفسك ... وهكذا تنمو روحياً ...

فى شهادتك لله ، أتراك إذن تعطى أم تأخذ ؟

لاشك أنك تأخذ أكثر مما تعطى . فإلى جوار كل ما ذكرناه من فوائد روحية ، ستأخذ أيضاً أكاليل لجهادك (٢تى٤: ٨) . وسيكون لك شرف العمل مع الله (اكو١: ٨) . ويمنحك الله نقاوة ليكثر ثمرك ، لأنه قال " أنقيه ليأتى بثمر أكثر " (يو١٥: ٢) .



الباب التاسع

الخادم داخل الأسرة



الخادم داخل الأسرة

وضع خاطئ :

العجيب أن كثيراً من الخدام عندهم إزدواج فى الشخصية :

فهم فى محيط الخدمة بطريقة، وداخل الأسرة بطريقة أخرى عكسية

فى مدارس الأحد : ملاك طاهر، إنسان لطيف ، بألفاظ كلها إتضاع ورقة ، كأن يقول " صلوا من أجلى، أنا الخاطئ، أنا الضعيف، غير المستحق " ... أما داخل الأسرة ، فهذا الخاطئ غير المستحق يبدو على حقيقته ، الغضب والعنف ، وربما الإنتهار والشتيمة والضرب ...! لذلك فالشخص الذى يرشح للكهنوت من الخدام ، لا تكفى فكرة زملائه الخدام عنه ، إنما أيضاً رأى أفراد أسرته فيه ..

ربما يحاول أن يكون قدوة خارج الأسرة ، ولكنه فى أسرته غير ذلك . قد يفتقد ويخدم الكثيرين خارج الأسرة. ولكن لا خدمة له داخل أسرته .

وأحياناً يخدم داخل أسرته، فيتحول إلى رقيب على كل أحد، عنيف فى رقابته، معلم ومؤدب، يأمر وينهى، بطريق تنفر من الدين.

أتذكر خادماً أيامنا ، رأى عند أخته فى البيت أدوات مكياج ، فثار عليها، وشتمها وصفعها على وجهها، وألقى بأدوات المكياج من البلكون !! فهل هذا أسلوب روحى فى الخدمة ؟! وهل هذه طريقة تجعل أخته تحب التدين، أو تحترم خدام الكنيسة ... بل لا مانع عند مثل هذا (الخادم) من أن ينتهر أباه وأمه، إن كان تصرف أحدهما لا يعجبه .

فهو إما أنه لا يخدم داخل الأسرة ، أو يخدم بكبرياء وعنف .

وقد ينطوى على نفسه داخل أسرته، ويشكو من أنه يعثر من الأسرة، وأنه على خلاف بينهم فى كل المبادئ الروحية. وقد يحدث أن أسرته تمنعه من الخدمة ومن الكنيسة، لأنها ترى أن (تدينه) قد حوله إلى الصلف وإلى العنف، والبعد عن المحبة واللطف . أو ترى أنه قد أهمل دروسه وواجباته بحجة الخدمة ومواعيدها ومتطلباته.. بل أن أسرته هى التى تعثر منه ومن تصرفاته !

هنا ونسأل – من الناحية الإيجابية – عن كيفية الخدمة داخل الأسرة ...

كيف يخدم ؟

١ – بالتعاون مع أهل البيت :

هناك خادم يعطى درساً عن السامرى الصالح فى مدارس الأحد. ولكنه لا يكون سامرياً صالحاً فى بيته . إن الدين ليس

مجرد معلومات تُلقى على الناس ، إنما هى حياة نحياها ... لذلك كن خدوماً ومتعاوناً فى البيت .

تدخل البيت ، فلا تجد والدتك قد انتهت من تجهيز الطعام بعد.. فلا تغضب ولا تلقى محاضرة فى حفظ المواعيد ، إنما أدخل وساعدها فى تجهيزه ، كن معها أيضاً فى إعداد المائدة . وإن إنتهيت من تناول طعامك ، فلا تتركهم يحملون بقاياك ويغسلون أطباقك . وإنما اشترك فى ذلك . هل الأمر يكلفك بضع دقائق ؟ إنها شئ بسيط تساهم به فى مساعدة الدتك وأخواتك . بل تنال بركة دعاء الوالدة ومحبتها لك لأنك تساعدها ولا تتركها وحدها .

بعض (الخدام) لا يكتفون بعدم تعاونهم فى خدمة البيت ، بل يحمّلون أهل البيت ثقلاً فى خدمتهم .

يستيقظون من النوم ، ويخرجون إلى العمل ، ويتركون كل شئ مبعثراً فى حجرتهم ، لمن يتولى عنهم ترتيبه ! لماذا لا ترتب فراشك حالما تستيقظ من نومك؟ ولماذا لا ترتب ملابسك ومكتبك قبل أن تخرج من البيت . لماذا تعتبر أن الخدمة هى فقط تحضير الدروس وإلقاؤها . أليست الخدمة هى أيضاً التعاون مع أهل البيت؟

لماذا لا تتعاون مع أخوتك الصغار فى أن تشرح لهم دروسهم.

أو تساعدهم فى ما يحتاجون إليه . وهكذا يحبونك ويتعلقون بك.

وبهذا الحب يمكنك أن تفيدهم روحياً .

لماذا لا تتعلم بعض الهوايات التى تستطيع بها أن تصلح بعض الآلات الكهربية فى البيت أو ما يشابهها ، فتساعدهم اقتصادياً بدلاً من إنفاقهم على ذلك ؟

٢ - نقطة أخرى فى خدمتك للبيت هى البشاشة والمحبة .

كن فى بيتك بشوشاً ، تشيع جواً من البهجة والفرح فى البيت ، وتجعل الكل يحبونك ، وبخاصة الصغار، بوجهك البشوش الحلو، وبابتسامتك اللطيفة ، وما تقصه على أخوتك من حكايات وألغاز، بمرحك ولطفك ...

ولا تكن مثل أولئك الذين لا يحفظون من بستان الرهبان غير عبارة " ادخل إلى قلايتك وأبكِ على خطاياك" ، ولا يحفظون من الكتاب المقدس سوى قول الحكيم " بكآبة الوجه يصلح القلب" (جا٧: ٣) . وهؤلاء يكتفون فقط بحياة التجهم والكآبة والتزمت والبكاء، بل يريدون أن يكون كل أهل البيت مثلهم مكتئبين !!

ويشيعون أن الضحك خطية ! ويلومون كل من يضحك !

وإن ضحك أهل البيت ، يعتبرون هذا منهم إنحلالاً !! وينسون قول الكتاب " وللضحك وقت" (جا٣: ٤) ، وقول الكتاب "افرحوا فى الرب كل حين، وأقول ايضاً افرحوا!" (فى٤: ٤) . وإن من ثمار

الروح " محبة فرح وسلام" (غل٥: ٢٢) .

إن القديس أرسانيوس أشتهر بالدموع ، ولكنه أمام الناس كان بشوشاً . فلا تجعل أهل بيتك يتصورون أن كل من يدخل فى الحياة الدينية ، تتحول حياته إلى كآبة ، لئلا يخافوا من التدين بسببك !! بل إعطهم فكرة عن البشاشة الروحية وسلام القلب .

٣ – نقطة ثالثة فى خدمتك للأسرة هى إحترامك للكل .

احترس من أن يكبر قلبك بسبب تدينك ، فتحتقر الآخرين أو تدينهم ، أو أن تكلمهم من فوق ...! لأن كثيرين حينما دخلوا إلى محيط الخدمة، وضعوا فى ذهنهم لافتة مكتوب عليها " عظ ، وبخ، انتهر" (٢تى٤: ٢) . وبهذا الإنتهار أصبح أهل البيت يحترسون من ألفاظهم القاسية ، وتعبيراتهم الخالية من الإحترام بالنسبة إلى الكبير والصغير . وينسون أن هذه العبارة قد أرسلها القديس بولس الرسول إلى تلميذه القديس تيموثاوس الأسقف ، وذكر له الأسلوب "بكل أناة وتعليم " (٢تى٤: ٢) .

فهل أنت تقيم نفسك اسقفاً للبيت ، أم أنت مجرد خادم ؟

وحتى الأسقف لا يكون دائم التوبيخ ، بل قيل له بالنسبة إلى الكبار " لا تنتهر شيخاً ، بل عظه كأب ، والعجائز كأمهات، والأحداث كأخوة.." (١تى٥: ١) بل قيل عن الأسقف أيضاً أنه

يكون محتشماً حليماً غير مخاصم (١تى٣: ٢، ٣) ولا يكون غضوباً (تى١: ٧) ..

فلا تجعل محبة الخدمة تخرجك عن فضيلة الأدب وإحترام الغير.

والرسالة الروحية التى تريد أن تنقلها إلى الآخرين، قدمها لهم بكل محبة ولطف وإحترام، وفى عفة اللسان ، وبتواضع القلب ... حتى أخوتك الصغار، إن طلبت منهم طلباً ، وقلت للواحد منهم "عن إذنك.. لو تسمح.. ممكن كذا" .. هو نفسه سيتعلم منك هذا الأسلوب الرقيق ، ويستخدمه فى حديثه مع غيره ، وبهذا تكون قد خدمته عن طريق القدوة العملية .

حاول فى خدمتك العائلية أن لا تجرح شعور أحد .

ولا تتكلم بكلمة تجرح شعور إنسان . بل إحترم الكل ، فيحترمونك ويتعلموا منك إحترام غيرهم، ويتعلموا أيضاً اللطف فى الحديث، وأدب التخاطب، والنصح الهادئ. وإن كانت هناك نصيحة تقدمها لأبيك أو أمك، أو من فى مستواهما، فاحرص جيداً ألا تتكلم كمعلم ...! احتفظ بتوقير من هو أكبر منك سناً أو مقاماً .

٤- يمكنك -بالنسبة إلى الكبار- أن تقدم التعليم غير المباشر.

كأن تحكى قصة هادفة من قصص الآباء ، أو تأملاً فى آية معينة دون أن توجهها إلى أحد معين ، أو خبرة لحكيم، أو فكاهة

لطيفة تؤدى نفس الغرض ، مع حذف كل عبارة موجعة يتصادف وجودها فى ما تقصه من القصص .

واحذر من أن تجلس إلى أبيك وتقول له " أريد يا بابا أنى أكلمك كلمتين من أجل خلاص نفسك؟ .. كما لو كان خلاص نفسه فى خطر ، أو كان هالكاً يحتاج إليك أن تنقذه ... بل يمكن أن تحكى قصة لأخوتك الصغار ، ويسمعها أبوك عفواً أو قصداً ...

٥ – يجب فى خدمتك العائلية أن تتصف بالتواضع والحكمة .

لاشك أن الحكمة تعلمك التواضع ، وتعلمك الأسلوب المهذب الذى تتكلم به . ولا تظن أنك لكى تصلح الكبار تتجرأ عليهم ، أو لكى تصلح الصغار تتسلط عليهم . ولا تستخدم أسلوباً – فيما تحاول به أن تخلص غيرك – تهلك نفسك .

كن صغيراً باستمرار فى محيط أسرتك . لا تشعرهم فيما تقدمه من نصائح، أنك أصبحت أوسع منهم فكراً، وأكثر معرفة ، أو أنك أكثر منهم روحانية، وأنقى منهم قلباً ... !

إنك بهذا الأسلوب المتعالى ، تخسر صداقتهم ، وتخسر نفسك.

ماذا تستفيد إن كانت طريقتك فى الخدمة قد علمتك السيطرة، وعودتك على الغضب والإنتهار وقساوة القلب ، وأوجدت حاجزاً بينك وبين قلوب الآخرين؟!

تعلّم إذن البشاشة واللطف ، قبل أن تبدأ أية خدمة .

وأعرف أن كل نفس حساسة، وعليك إذن أن تراعي حساسيتها في خدمتك لها .

٦ – اعرف أن عملك هو الإقناع وليس الإرغام .

أنت مجرد شاهد للحق ، كما أمرنا الرب قائلاً " تكونون لى شهوداً " (أع١: ٨) . أما أن ترغم أهلك وأخوتك على السلوك السليم ، فليس هذا هو عملك . بل إن الله نفسه قال للشعب " أنظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير ، والموت والشر .. قد جعلت قدامك الحياة والموت ، البركة واللعنة ، فاختر الحياة لكى تحيا " (تث٣٠: ١٥، ١٩) ، فإن أقنعتهم بالخير ، وفعلوه باختيارهم ، ينالون أجرهم على ذلك . أما إن فعلوا الخير إضطراراً بضغط منك، وبدون إقتناع ، فأى أجر ينالونه ؟!

لا تظن خدمتك أن تنصح، وترغم، وتوبخ ، وتهدد ، وتعاقب.

ليس هذا هو أسلوب خدمة تتخذه مع أخوتك الصغار أو أخواتك، أو مع الكبار بأسلوب اقل . وإلا فسوف تقول الأسرة عنك " ليته ما دخل فى محيط الخدمة . لقد كان قبل ذلك أكثر لطفاً وحباً وإحتراماً لغيره ...

فى خدمتك لا تفقد أحداً حريته ، إنما ساعده أن تتجه حريته

نحو الخير . ساعد أفراد أسرتك أن يحبوا الله . وإن أحبوه سوف يحبون الخير ، وسوف يفعلون الخير تلقائياً ، دون إرغام ، ودون توبيخ . وستكون إرادتهم قد تطهرت ...

٧ – وفي خدمتك لحترس من الحرفية في التعليم .

لا تكن فريسياً في تعليمك ، سواء في داخل البيت أو خارجه .

ونذكر بهذه المناسبة موقفك من وسائل الترفيه في داخل الأسرة أو في خارجها . لا موقفاً حرفياً يكون سبب نكد وعكننة على الأسرة كلها، ولا موقفاً متسيباً لا قدوة فيه ولا ضوابط . إنما تصرف فحكمة ، بخط واضح سليم بين الخير والشر، بحيث تكون مقنعاً ، لا متطرفاً في رأيك ، ولا مستبداً بفكرك بدون إقناع .

من حقهم أن يكون لهم ترفيه . ومن واجبهم أن هذا الترفيه يكون نقياً بلا خطأ .

لا تعاملهم كرهبان أو نساك زاهدين . وأيضاً نبهم إلى مواضع الخطأ، بحكمة وباستمرار اعطِ صورة مشرقة عن تدينك .

لا تقدم لهم الدين كدواء مرّ يجب عليهم أن يشربوه لكي يشفوا ويصحوا ، إنما قدمه كمتعة روحية لهم . ولا مانع من أن يتدرجوا في ذلك . كما فعل الآباء الرسل مع الداخلين في الإيمان من الأمم (أع١٥: ٢٨ ، ٢٩) . وكما قال القديس بولس الرسول لأهل

كورنثوس " سقيتكم لبنا لا طعاما ، لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون " (اكو٣: ٢) .

٨ - قدم لهم فى خدمتك ، أنموذجاً بنجاحك فى حياتك .

سواء فى حياتك الدراسية بتفوقك الذى تفرح به أسرتك، أو فى حياتك الإجتماعية بكونك موضع محبة وثقة الآخرين ، أو فى حياتك الروحية بكونك بلا لوم، لا يمسك عليك أحد خطأ، أو فى حياتك العملية بصفة عامة .

إن رأوك هكذا مثالاً طيباً ، يحترمون حياتك، وبالتالى يحترمون أيضاً أسلوبك ومبادئك ، فيتخذونك قدوة لهم . وهكذا تكون قد جذبتهم عملياً إلى طريق الرب الذى أحبوه فى حياتك .

تحبك أسرتك ، وتفتخر بك ، وتقبل كلامك إن تحدثت عن الله. وإن دعوتهم إلى الكنيسة ، يذهبون معك . بل قد تجد اباك يقول لأخيك الصغير " تعلم من أخيك فلان ، وانظر كيف هو ناجح ومحبوب ولا يخطئ فى شئ .

حينما تكون ناجحاً ومتفوقاً ، وتأخذ حق الله من نفسك ، قبل أن تأخذه من غيرك، حينئذ تكون موفقاً أيضاً فى خدمتك لأسرتك.

لأنك ستكون إنساناً متوشحاً بالفضيلة ، ولست مجرد متحدث عن الفضيلة. وسوف تكون درساً لغيرك، حتى لو كنت صامتاً لم

تتحدث ...

٩ - يمكنك بعد كل هذا أن تلقى كلمة الله .

ابدأ بأخوتك الصغار . إنهم يحبون الحكايات وسيحبونك جداً إن سمعوا منك حكايات ، من الكتاب ، من سير القديسين ، من قصص الحيوانات ، من أخبار التاريخ ... وأيضاً هم يحبون الأناشيد . علمهم تراتيل وألحاناً . حفظهم أيضاً آيات من الكتاب ، وقدم لهم مسابقات وألغازاً ... وسوف يكونون فصلاً خاصاً لك . حتى لو بدأت بطفل واحد، ثم جرّ وراءه أطفالاً من فروع الأسرة ، أو من أصدقائها وجيرانها .

وسيأتى وقت تحب والدتك أن تسمع حكايتك ، منهم أو منك . وكذلك والدك ... ويمكن أن تكون الحكايات أثناء الجلوس على المائدة ، أو فى حجرة المعيشة ، مقدمة للأطفال ، وسيسمعها الكبار معهم ، بطريق غير مباشرة .

١٠ - العبادة فى محيط العائلة :

يمكن للأسرة المتدينة ، أن يكون لها عبادة مشتركة ، بصفة عامة ، أو جزئية ... إنه موضوع يحتاج إلى مقال خاص .

نصائح لخدمة أسرتك

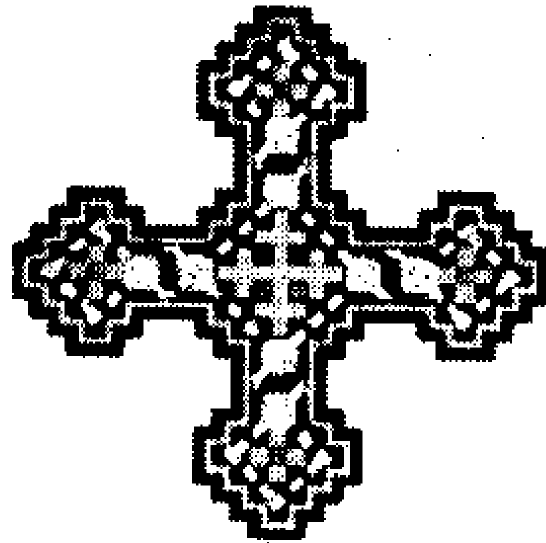
١ - لا تكن عثرة للأسرة بل اجعلهم يحبون التدين فى شخصك، ويحترمون اسلوبك فى الحياة .

٢ - كن لطيفاً فى ما تقدمه من نصائح . وابعد عن روح الكبرياء والتسلط. بل احترم الكل .

٣ - لا تحاول أن تفرض عليهم جواً من الخشوع الإجبارى، أو جواً من التزمت والتضييق .

٤ - كن حكيماً فى أصوامك ، ولا تسبب قلقاً للأسرة . ولا تجعلها تشكو خوفاً عليك ، فينكشف صومك خارج الأسرة .

٥ - كذلك كن حكيماً فى عبادتك وخدمتك ، ولا تدعها تؤثر على حياتك الدراسية ، ولا على مسئولياتك العائلية .



فى الجزء الأول

من مجموعة (الخدمة الروحية والخادم الروحى) .

حدثناك عن الموضوعات الآتية :

الخدمة الروحية :

١ - الخدمة الروحية وصفاتها .

٢ - مركز الله فى الخدمة .

٣ - التواضع فى الخدمة .

٤ - مقاييس الخدمة ونجاحها .

الخادم الروحى :

٥ - الخادم الروحى وصفاته .

٦ - الخادم الروحى قدوة وبركة

وحياته كلها خدمة .

٧ - الخادم الروحى الذى يعمل الله به .

٨ - الخادم الروحى دائماً يعمل .

العمل الجوانى .

فهـــرســت

صفحة